

حكايات شعبية

من مدينة دبا



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

حكايات شعبية

من مدينة دبا

خالد سليمان بن جميع



حكايات شعبية من مدينة دبا

خالد سليمان بن جميع

رسوم: الفنان تائر أحمد كلثوم

لوحة الغلاف: للفنان تائر أحمد كلثوم

© جميع الحقوق محفوظة

الناشر: مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث - حكومة دبي

دبي: ص.ب ٣٣٣٥٠٠، دبي، الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٧٠٠٠ ٣٧٣ ٤ ٩٧١ +

البريد الإلكتروني: nfo@hhc.gov.ae - الموقع على الشبكة: www.hhc.gov.ae



HHC Gov



@hhcgovae



@hhcgovae



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

الطبعة الأولى: ٢٠١٨م

هذا الإصدار خاص بمركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الإصدار بأي شكل كان (بما في ذلك النسخ المصورة أو استخدام الوسائل الإلكترونية) من دون الموافقة المكتوبة لأصحاب حقوق النشر. وينبغي توجيه الطلبات الخاصة بالحصول على الموافقة المكتوبة لأصحاب حقوق النشر بهدف إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، إلى الناشرين طبقاً لقانون حقوق النشر الدولي لعام ١٩٥٦م، وللقانون الاتحادي رقم (٧) لعام ٢٠٠٢م الخاص بحقوق النشر الخاصة بالمنشئ الأصلي والمنشئين الثانويين. وكل من يتصرف بما يخالف حقوق النشر المذكورة سيكون عرضة للملاحقة القانونية والمطالبة بالأضرار الناجمة عن ذلك.

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9948-24-185-0

طبع ونشر في دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة المركز

الحكايات الشعبية -أو ما يسمى "الخراريف" في مجتمع الإمارات العربية المتحدة- شكل من أشكال السرد الشفاهي، يدخل الخيال في كثير من أحداثه، كما يتميز سرد الأحداث فيه بالبساطة والوضوح. عرفت المجتمعات الإنسانية جمعاء هذا النوع من الحكايات وفي دولة الإمارات العربية المتحدة كثير منها تناقلتها الألسن على مر السنين، وحفظها الناس عن ظهر قلب. وتتميز الحكاية الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة بتعددتها وانتماءاتها إلى بيئات مختلفة، كالبيئة الساحلية والبدوية والجبالية والزراعية. وعلى الرغم من هذا التعدد إلا أن هناك رابطاً واضحاً يربط بين هذه الحكايات حيث نجد التشابه في الخط السردى، تبدأ هذه الحكايات عادةً في معظمها بصيغ معروفة، مثل: "صلوا على النبي"، أو "كان يا ما كان"، وإلى جانب التشابه في البناء القصصي فهذه الحكايات لا تنتهي فجأة، بل هناك خط للبداية وخط للنهاية، كما تمتاز هذه الحكايات الشعبية بوجود الشيء ونقيضه، فالغنى مقابل الفقر،

والخير مقابل الشر، والجن مقابل الإنسان. كما أنها في معظمها تدخل في عوالم لا تشبه الواقع الذي نعيشه، ومن هنا جاءت تسميتها بالخراريف، لذا؛ نجد فيها حيوانات وأشجاراً تتكلم وأفعالاً خارقة، إلى جانب كائنات من عوالم أخرى.

إننا في هذه المجموعة نضع بين يدي القارئ حكايات شعبية أو خرافات تناقلتها الشفاه في مدينة دبا وهي من المدن الجميلة التابعة لإمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، لتسليط الضوء على هذا الموروث الثقافي الشفاهي الذي ظل وما زال متداولاً في مجتمع الإمارات، بهدف جمعه وتوثيقه وحفظه من الاندثار والضياع، وانطلاقاً من رؤية مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث منطلقين في هذا من توجيهات سمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي حفظه الله ورعاه، الذي يرى أن إحياء التراث ضرورة وواجب وطني.

إدارة البحوث والدراسات

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

الإهداء

إلى والدتي
فاطمة علي هلال الظنحاني

خالد سليمان بن جميع

المقدمة

تعرف الحكاية الشعبية على أنها القصص التي يتناقلها شفاهاً جيل بعد جيل، بغض النظر عن اختلاف أشكال روايتها ومجهولية مؤلفيها، بعضها يجنح إلى الخيال وفقاً لمخيلة الراوي أو من تناقلها من بعده باعتبارها أدباً متوارثاً بالشفاهي لا بالمكتوب.

والحكاية الشعبية هي نوع من أنواع الأدب الشعبي التعبيري، تزخر بها جميع المجتمعات الإنسانية مهما اختلفت انتماءاتها أو توجهاتها العرقية أو الدينية. وتدخل في الحكاية الشعبية ضمناً الأسطورة والخرافة والمثل الشعبي واللغز والأغنية، وكل ما يتضمن أشكالاً من الممارسات اليومية للشعوب والتي حفظت للأجيال عن طريق التداول والتناقل شفاهاً.

وهي أيضاً أكثر أنواع الأدب الشعبي تداولاً من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن مجموعة لغوية إلى مجموعة

لغوية أخرى، فالحكاية تسمع وتفهم ثم تُروى سواء أكان ذلك بإعادة صياغتها من جديد وروايتها في بناء فني حديث عبر تعديل بعض عناصرها أو إبدال بعض هذه العناصر بعناصر جديدة تتوافق مع فكر ووجدان القارئ الحديث، أو بإضافة عناصر جديدة من واقع الحياة.

من هنا سعيْتُ جاهداً في هذا الكتاب، نحو إعداد وتوثيق مجموعة من القصص الشعبي الإماراتي التي توارثناها، وتحديدًا تلك التي سمعتها في مدينة دبا، المنطقة التي ولدتُ فيها، حيث اعتمدتُ في كتابتي لهذه القصص على روايات أمي الوالدة فاطمة علي هلال، مما أخذته من حكايات الأجداد، رغبةً مني في حفظ تلك القصص من الضياع، من أجل تأصيل الهوية الوطنية لأبناء الإمارات، باعتبارها قصصاً ترتبط بالثقافة الشعبية، وتدخل ضمن بنية تاريخ وكيان أهل المنطقة.

خمس حكايات أو "خراريف" كما نطلق عليها في

الإمارات، تحمل خمسة عناوين مختلفة: "غريسة بنت الشبّيك"، "خرسان وورسان"، "بيض يحمل وبيض يعقر"، "أم داس"، و"شطر شطير". وهذه الحكايات هي الأشهر والأكثر تداولاً في مدينة دبا، من القصص الخيالية والطريقة والمؤثرة، حيث نجتمع حول الجدّات والأمهات كل مساء فيذهبون بنا عبر المخيلة إلى حكايات عززت القيم الأخلاقية لدينا، واستنهضت في دواخلنا الهمم.

متمنياً أن يحظى هذا الكتاب بإعجاب القراء، ويكون مصدراً للمهتمين بشؤون التراث الإماراتي.

التمهيد

مع حلول ليلة عيد الأضحى، تظهر الذكريات الجميلة على الواجهة، الذكريات التي عشناها، عشنا تفاصيلها الجميلة وحفظتها الأيام في وجدان كل واحد منا وتظل ماثلة أمامه مهما تقدم به العمر، هي ليلة عصية على النسيان، فما إن يغمض المرء جفنيه حتى تتمثل أمامه مثل شريط سينمائي تمر أحداثها وكأنها البارحة، نبتسم لحلوها ويتعكر المزاج لمرّها، وتعيش في داخل كل فرد منا إنها لا تقدم، إنها تتجدد في كل عام.

ذلك هو زمان "خروفة"^(١) غريسة^(٢) بنت الشّبيك^(٣)، وغيرها من الخرافات التي تسرد علينا في الكثير من الليالي والتي سوف نقوم بسرد البعض منها في هذا الكتاب. أما مكان سردها علينا فقد كنا في مدينة دبا، منطقة "صمبريد" أو كما يسميها البعض "الدوب"،

(١) قصة خرافية

(٢) اسم فتاة

(٣) صانع شباك الصيد

حيث منزلنا المتواضع المطلّ على البحر.

فمن عادات وتقاليدها أمهاتنا في ليلة العيد، غمس أرجلنا وأيدينا بالحناء، وتعتبر هذه العادة مظهراً من مظاهر الاحتفال بالعيد، وعُرف شعبي توارثته الأمّهات ونقلته إلى بناتها وأبنائها. وهو غمسٌ يشمل كامل القدم واليد، ثم بعدها تلفّ اليدين والرجلين بقطعة قماش للحفاظ على نظافة المكان، وضمان ثبات الحناء على الجسد، ورغم أنه كان يعيق حركتنا إلا أنه يبعث في نفوسنا الفرح كطقس لا يحدث إلا في المناسبات المهمة ومنها ليلة عيد الأضحى.

وكما في كل عام في مثل هذه الليلة المباركة، تقوم والدتي فاطمة بنت علي هلال، بإعداد الحناء المزروع في "نخلنا"^(٤) أي مزرعتنا، إذ يخلط بالماء الدافئ والليمون اليابس، ثم تقوم والدتي بفرش "الدواشك"^(٥) ووضع "المخادّ" التي تستخدم في المجلس أي الوسائد، واحدة

(٤) مزرعتنا

(٥) مطارح النوم

تسند الرؤوس وأخرى تسند الأقدام، وتقوم بفرش جهتين متقابلتين جهة للصبية وجهة للبنات وحين يأتي الليل وبعد أن نكون قد تجاوزنا مرحلة حمّام العيد، نستلقي وتقوم والدتي بتغميس الحناء على أيادينا وأرجلنا واحداً تلو الآخر لحين انتهاء الجميع من الأكبر إلى الأصغر، ولكي نجلس بهدوء ولا نبدي أي مقاومة أو نفكر في الهروب من الحناء، تبدأ والدتي بقص خرايفها المشوقة، التي تجعلنا نصغي بأسلوبها باهتمام وتركيز لها وننسى أمر الحناء وعقولنا مركزة في الخروفة، وتبدأ بخروفة "بنت الشَّبِيكُ" التي لا أزال أذكرها، وكأنّ أمي تجلس أمامي وإلى جانبها وعاء الحناء الآن.

تبدأ أمي "خروفتها" أو كما تحب تسميتها "تخروفة" بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن ثم تنطلق بسرد تفاصيل الحكاية:

غريسة بنت الشبّيك



غريسة بنت الشبّيك

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هنالك صياد فقير، اسمه "الشّبّيك" نسبةً إلى عمله في حياكة شبّاك الصيد وحيث يقوم بالصيد بهذه الشبّاك وبيع البعض منها، كان "للشبّيك" ابنة واحدة طيبة وجميلة اسمها "غريسة"، ويعيش الاثنان لوحدهما في منزل بسيط في المدينة، بعد أن توفيت زوجته وتركها يتيمة. اعتاد "الشّبّيك" على أخذ ابنته "غريسة" معه في الصيد، كي لا يتسلل الملل إلى روحها ولا تبقى جالسة في البيت لوحدها، فيستعين الصياد بابنته "غريسة" في وضع الشبّاك التي يصنعها هو بنفسه، وهي شبّاك تستخدم للصيد وتسمى باللهجة الشعبية لأهل دبا "الشريخ"^(١) أو "الساليه"^(٢)، يستخدمها "الشّبّيك" للصيد في المياه القريبة من الشاطئ، فهو دائم الخوف والقلق على ابنته، ودائم التفكير في مستقبلها وماذا ستفعل من بعده لو أن الموت فاجأه، فلمن سيترك هذه

(١) شبكة صيد

(٢) شبكة صيد من نوع آخر

الفتاة الوحيدة من بعده؟

سيطرت هذه الأفكار والوساوس على رأس "الشَّبِيك"، وبدأت تقض مضجعه حتى أنها حرمته من نومه الهادئ وجعلته يقضي الليل وهو يفكر فيما سيؤول إليه مصير ابنته من بعده، ليتخذ قراراً كان يظنه صائباً، غير أن الزمن أثبت عكس ذلك، إذ اختار "الشَّبِيك" أن يتزوج، والمرأة التي ستكون زوجته هي من ستعتني بابنته "غريسة" وستعمل على تربيته ورعايتها وإن حدث له مكروه ستتولى زوجته أمرها. هكذا فكر "الشَّبِيك".

بدأ "الشَّبِيك" بالبحث عن امرأة ذات مواصفات حسنة، إذ ليست كل امرأة تصلح أن تكون أماً لفتاة لم تلدها، ففسوة زوجات الأب التي سمع عنها من أهالي المدينة جعلته يدقق كثيراً في الاختيار، ويركز في اختياره على امرأة تمتلك العطف والحنان لتتمكن من احتضان ابنته والسهر على راحتها. وبعد رحلة مضيئة في البحث عن الزوجة، وقع اختيار "الشَّبِيك" على عائلة فقيرة فقراً مدقعاً، تتكون من

امراً وابنتها، وكانت ابنتها "خسفة"^(٣) أي قبيحة، لم يكن يشغل بال "الشَّبِيكُ" فقر أو غنى المرأة التي سيتزوجها، بقدر انشغاله بأن تكون عطوفة وحنونة ورؤوفة بابنته، فاختار نسب هذه العائلة، ونقل زوجة المستقبل وابنتها إلى منزله ليعيشوا هو وابنته وزوجته وابنتها في بيت واحد.

سارت الأمور بين العائلة الجديدة بخير وسلام في بادئ الأمر، ولما كان "الشَّبِيكُ" يسافر كثيراً ويترك المنزل لأسابيع وشهور بحثاً عن الرزق، بدأت زوجته الجديدة بافتعال المشاكل مع "غريسة"، وتضايقها كون الزوجة تشعر بالغيرة من ابنة الصياد لجمالها وحسن قوامها وذكائها، فخطت بمعونة ابنتها لطردها من المنزل بطريقة لا تثير شكوك زوجها الصياد. بدأت أولاً بالقسوة والفظاظة في التعامل مع "غريسة" ومن ثم تكليفها بكافة أعمال المنزل البسيطة والصعبة، من غسل وكنس وتنظيف البيت وطحن حبوب الدقيق

بواسطة "الرحى"^(٤) وطعام الخراف والدجاج، حتى

(٣) قبيحة

(٤) أداة للطحن

وصل بالزوجة وابنتها أن تجعل من "غريسة" تسرح لهما شعرهما وتقوم بعمل الحنة لهما بالإضافة إلى كافة الأعمال التي يطلبانها منها، وحين يأتيهما ضيوف إلى المنزل في غياب "الشَّبِيكُ" تعاملها معاملة الخادمة ليس إلا.

عانت بنت "الشَّبِيكُ" كثيراً من ظلم زوجة أبيها وابنتها، في النهار تنهكها أعمال المنزل، وفي الليل تتقاطر الدموع من عينيها وجعاً وحزناً على وفاة أمها وما صار إليه الحال بعد قدوم الشريرتين إلى المنزل، فكرت أكثر من مرة في أن تشكوهما لأبيها، لكنها تعدل دائماً عن هذا القرار، رغبة منها في عدم تحميل أبيها همومها، ولأن عودته إلى المنزل لا تتعدى أياماً معدودة ليعود للصيد بعدها، لذلك أرادت أن تكتم وجعها ولا تتقوه به أمام أبيها لينعم بالسعادة والطمأنينة أثناء مكوثه في المنزل.

والغريب في أمر الزوجة وابنتها، أنهما يعاملانها بكل أشكال القسوة عند غياب الأب، أما بعد عودته فيتغير الحال ويظهران له حبهما لها وعطفهما عليها، حتى

أن الزوجة أحياناً تقوم بإطعامها بيديها، حتى إذا غادر "الشَّبِيكُ" في رحلة صيد، عادت فظاظة تعاملهما مع "غريسة" أشد وأقسى.

وفي يوم من الأيام وعند عودة "الشَّبِيكُ" من رحلة صيد، وكعادته في إحضار ما جاد عليه البحر معه في سلّة صيد السمك، وأثناء قيلولة "الشَّبِيكُ" بعد عناء السفر، طلبت زوجة الأب من ابنته تقطيع وتنظيف جميع الأسماك التي جلبها الصياد:

زوجة الأب: نظفي الأسماك بسرعة قبل أن يستيقظ أبوك. وأعدّي لنا شواءً لذيذاً منها

وإياك أن تتقوهي أمام أبيك بكلمة، فأنا من نظف وقطع وشوى. مفهوم؟؟

هزت بنت "الشَّبِيكُ" رأسها موافقةً على مضض، وحملت سلّة الأسماك وخرجت إلى حافة الشاطئ من أجل تنظيف الأسماك، وهي تقلب الأسماك لتبدأ بالطازج والجيد منها، جذب بصرها سمكة جميلة الشكل، متوسطة الحجم، فضية اللون لامعة،

أسطوانية المنظر تسمى "بياحة"^(٥) أي سمك البوري أو "الميد"، فأمسكتها بيدها واختارت أن تبدأ بها أولاً، حتى فاجأها صوت غريب لا يشبه أصوات البشر يناديها عن قرب:

السمكة: لا تقطعيني..

غريسة: من؟؟ من صاحبة هذا الصوت؟

السمكة: أنا.. أنا "البياحة" التي في يدك ارتعبت "غريسة" من الصوت، ثم تراجعته عدة خطوات إلى الوراء وسقطت السمكة من يدها على الرمل:

السمكة: أرجوك.. لا تقطعيني وسأكون لك عوناً وسأجعلك سعيدة.. وسأمنحك ما تريدين حدقت بنت "الشَّبَّيْكَ" في السمكة، وتمالكت أنفاسها وعملت جاهدة على الحفاظ على أعصابها ثم بدأت بالتجاوب مع السمكة بهدوء خائف وحذر:

غريسة: ما الذي تريدينه مني؟؟

السمكة: ارميني في البحر.. قبل أن أموت..

(٥) نوع من أنواع الأسماك

حملت غريسة "البياحة" بسرعة ورمتها في البحر، وهي تحقق النظر فيها.

السمة: شكراً لك يا "غريسة" الطيبة.. سأكافئك جزاء ما أحسنت إليّ..

حينما تحتاجيني تعالي قرب الشاطئ ونادي: "بياحتي.. بياحتي" وسأحضر على الفور، وسألبي ما تطلبين.. وداعاً يا صديقتي "غريسة" الجميلة. غاصت السمكة في أعماق البحر، تاركة "غريسة" في حالة من الاستغراب والاندحاش لما حصل لها مع السمكة، وقررت أن تكتم هذا السرّ عن الجميع حتى عن أبيها كي لا يتهمها أحد بالجنون. عادت "غريسة" إلى المنزل، وسمكات السلة ناقصة واحدة، تلك "البياحة" التي أعادتها "غريسة" إلى البحر، لم تكن تدرك أن زوجة أبيها قد عدّت السمكات واحدة واحدة، والتي بادرتها بالسؤال عن "البياحة" مع دخول "غريسة" المنزل:

زوجة الأب: السمك أقلّ.. أين ذهبت "البياحة"؟

غريسة: أعتذر.. لقد هربت من يدي وقفزت إلى

البحر أثناء محاولتي غسلها

زوجة الأب: إنها ألد ما صاده زوجي.. كيف فعلت هذا ؟ كيف تركتها تهرب؟

غريسة: خطأ غير مقصود يا عمتي.. أنا آسفة، عاقبتها زوجة الأب بحرمانها من تناول وجبة الغداء، وجبة الغداء التي قامت "غريسة" بإعدادها من تنظيف وغسل وتقطيع وشي للأسماك، بينما زوجة الأب وابنتها جالستان في البيت لا يفعلان أي شيء. في المساء، مشاعر الحزن والأسى تزايدت في قلب "غريسة" خاصة بعد حرمانها من تناول الطعام، فالجوع دفعها إلى إعادة التفكير فيما حدث بينها وبين "البياحة" ووعدها لها بأن تكون لها العون والسند عند الحاجة، تسلمت بنت "الشبيك" أثناء نوم الجميع إلى الخارج، حتى وصلت إلى حافة الشاطئ ثم نادى:

غريسة: بياحتي.. بياحتي

وما هي إلا لحظات حتى سمعت غريسة حركة مياه البحر، لتخرج "البياحة" على سطحه وتقرب من

"غريسة" التي بدورها قصّت لها ما حصل بينها وبين زوجة أبيها، وأن الجوع يؤذي معدتها من ضراوته وقسوته، مما جعل "البياحة" تحزن لحال "غريسة" وتطلب منها إغماض عينيها قليلاً، وبعد برهة فتحتهما لتجد أمامها مائدة عليها ما لذ وطاب من أجود وأنضج أصناف الطعام.

ملأت "غريسة" جوع بطنها وأكلت بشراهة حتى شبعت، ثم حمدت الله على النعمة، وعادت إلى المنزل سعيدة بقاء "البياحة" وما قدمته لها من عون ومساعدة، وظلّت "غريسة" على هذا الحال تخرج في المساء وتتناول أشهى أنواع الطعام ثم تعود إلى المنزل دون أن يقع على سرها أحد.

ولأنها رضت بحالها واقتنعت بأقدارها ودائماً ما تقدم العون لكل محتاج، حدث ما لم يكن بحسبانها، إذ نادى منادٍ من حرس السلطان ذات يوم، بأن السلطان سوف يقيم حفلاً كبيراً في قصره لنجله، وسيختار خلال الحفل زوجته وشريكة حياته، وشاع الخبر في المدينة، وبدأت النساء بتحسين أشكال بناتهن وجعلهن

يرتدين أفخر الثياب من أجل الذهاب إلى الحفل والفوز بالزواج من ابن السلطان، غير أن "غريسة" لم تكن من ضمن المدعويين، فزوجة الأب جهزت ابنتها "الخسفة" للذهاب إلى الحفل، وأمرت "غريسة" ألا تغادر المنزل، وحذرتها من مجرد التفكير بالذهاب إلى القصر، إذ كانت زوجة الأب تخشى على ابنتها "الخسفة" من جمال "غريسة" التي لو تمكنت من الوصول إلى الحفل فستفوز بقلب ابن السلطان حتماً. لذلك؛ قررت زوجة الأب منعها من الذهاب، وجعلتها تنشغل بترتيب المنزل وتنظيفه، إذ ملأت المنزل حبوب شعير، وأمرتها بإتمام تنظيفه قبل عودتهما من الحفل، مع أن تنظيف المنزل من حبوب الشعير يستغرق أياماً وأسابيع خاصةً إذا ما كان من يقوم بالتنظيف شخص واحد بمفرده، وبهذا ضمنت الزوجة عدم قدوم "غريسة" ولا حتى التفكير في الخروج من باب المنزل.

خيّم الحزن على قلب "غريسة" التي كانت تأمل على أقل الأحوال بأن تشاهد الحفل وترى الفائزة بقلب

ابن السلطان ومن ستكون زوجته. فما كان من بنت "الشَّبَّيْكَ" إلا أن استعانت بصديقتها، فذهبت إلى البحر ونادت عالياً وبما تمتلك من قوة.

غريسة: بياحتي.. بياحتي..

وقصّت على "البياحة" كل ما حدث لها، فطلبت "البياحة" من "غريسة" وكما فعلت في المرة الأولى بأن تغمض عينيها، وحين فتحت "غريسة" عينيها شاهدت نفسها ترتدي أجمل الثياب وأحلى الزينة، حتى أن حذاءها كان من الذهب، وطلبت السمكة من "غريسة" الذهاب فوراً من أجل اللحاق بالحفل، أما حبوب الشعير وتنظيف المنزل، فأرسلت "البياحة" الطيور لتتوب في التنظيف بدلاً من "غريسة" التي سابت الريح في طريقها نحو الوصول إلى الحفل. ما إن وصلت "غريسة" مكان الحفل حتى توجهت أنظار الجميع نحوها، الذين جذبهم جمالها وأناقتها، ووصل حد الإعجاب بها إلى ابن السلطان، غير أن سعادتها لم تكتمل، فالسمكة "البياحة" طلبت من "غريسة" مغادرة الحفل قبل انتهائه تجنباً لزوال

الأناقة والثياب عنها في أي لحظة، ركضت "غريسة" هاربة من أنظار ابن السلطان الذي وقع في قلبه حبها، ركضت "غريسة" وأقدام ابن السلطان وراءها حيث سارت، حتى تعثرت وسقطت عنها فردة حذاءها في وعاء ماء مخصص لبعير ابن السلطان، غابت "غريسة" بفردة حذاء واحدة عن أنظار السلطان ولم يتمكن من اللحاق بها، فعاد ابن السلطان إلى قصره حزينا، وعادت "غريسة" إلى منزلها بسرعة خوفاً من أن تكتشف زوجة الأب سرها.

في اليوم التالي، أمر ابن السلطان حراسه بالبحث عن الفتاة، بحث الحراس المدينة منطقة منطقة ولكن دون جدوى، اعتزل ابن السلطان الناس وجميع من في القصر، واختار الانزواء بعيداً بحزنه في فناء القصر، حتى وصل إلى مسامعه صوت بعيه الذي كان هائجاً ولا يرغب بالشرب من الوعاء، اقترب ابن السلطان منه ليهدئ من روعه ويساعده على الشرب، ففاجأه المنظر، إذ إن فردة حذاء الفتاة البراق التي تعلق بها قلبه في الحفل غاطس في وعاء البعير، فرحة ابن

السلطان العارمة بعثوره على شيء يقربه منها وقد يوصله إلى طريقها لم تمنعه من الانطلاق على الفور مع حراسه للبحث عن صاحبة الحذاء، فطرق أبواب البيوت بيتاً بيتاً حتى وصل إلى منزل "الشَّبَّيْكَ". وصل الخبر إلى مسامع زوجة الأب، فما كان منها إلا أن تجهز ابنتها "الخسفة" وتزينها بأفضل ما لديها من زينة، رغبةً من زوجة الأب في أن يكون قياس الحذاء مناسباً لابنتها، وأن جمالها وزينتها ستجعله يقع في حبها، وكذلك كانت زوجة الأب تشك في أن صاحبة الحذاء هي "غريسة" فلا جمال تمتلكه أي فتاة في المدينة يعادل جمال "غريسة" التي توقعت أن تكون هي من تعلق بها قلب ابن السلطان. لذلك؛ قررت زوجة الأب إخفاء "غريسة" في جرة كبيرة مصنوعة من الفخار "الخرس"^(٦) يستخدم لحفظ الأطعمة، وتأجيل معاقبتها على جرأتها على الذهاب إلى الحفل دون إذنها إلى ما بعد ذهاب ابن السلطان. لم تجر الرياح بما اشتهت زوجة الأب، إذ إن فردة

(٦) اسم محلي للجرة الكبيرة

الحذاء لم تناسب مقاس ابنتها، ولما ضاق ابن السلطان ذرعاً بالمدينة التي فتش كل مكان فيها ولم يعثر على الفتاة صاحبة الحذاء، سأل ابن السلطان زوجة الأب.

ابن السلطان: يا سيدتي.. أليكِ فتيات أخر؟ زوجة الأب: لا يوجد في هذا المنزل غير ابنتي. أحد الحراس الذين رافقوا ابن السلطان في رحلة البحث عن صاحبة الحذاء، لاحظ حركة غريبة تصدر من الجرّة، الجرّة التي وضعت زوجة الأب "غريسة" فيها، فما كان منه إلا أن يتقدم نحو الجرّة ويكسرها لتخرج منها غريسة، وسط غضب ابن السلطان من زوجة الأب لكذبها عليه وإخفائها الفتاة. قاست "غريسة" الحذاء، وحلّت السعادة في قلب ابن السلطان وفي قلب "غريسة" حينما وجد أن الحذاء مناسب لمقاسها تماماً، واتفق ابن السلطان مع والد غريسة "الشبيك" على كل تفاصيل الزواج، وحددا موعداً له، وعفا بطلب من "غريسة" عمّا فعلته زوجة الأب وابنتها.

غير أن الشر من قلب زوجة الأب قد تمكن، فطلبت من

ابن السلطان وقبل مغادرته إحضار "خرس مالح"^(٧) و"شوال بصل" أي كيس كبير من البصل، ونفذ ابن السلطان طلبها وغادر المنزل مع حراسه.

"غريسة" كانت تثق بزوجة الأب خصوصاً بعدما عفا عنها ابن السلطان ظانة أن زوجة الأب تحولت إلى امرأة طيبة تقوم مقام أمها، إذ خططت زوجة الأب لإلحاق الأذى بغريسة، حينما جمّلت لها أكل المالح والبصل، وأنه مفيد لصحتها، وعليها تناوله كل يوم حتى يحين موعد زفافها على ابن السلطان، صدقت "غريسة" وأخذت تأكل المالح والبصل كل يوم، ولم تكن تعلم بأن الإكثار من تناولهما يسبب الإسهال وآلاماً في البطن والرائحة الكريهة.

حان موعد الزواج الذي أعد له ابن السلطان حفلاً مهيباً وعظيماً، وأصيبت "غريسة" بالآلام والأوجاع جراء نصيحة زوجة الأب بأكل المالح والبصل، حتى علمت أخيراً أن زوجة أبيها دبّرت لها مكيده لتبعدها عن ابن السلطان، فخرجت من المنزل خلصة

دون أن يراها أحد، وذهبت لطلب العون والمساعدة من صديقتها "البياحة":

غريسة: بياحتي.. بياحتي..

ثم قصت على السمكة كل ما حدث، وكما فعلت "غريسة" في السابق، أغمضت عينيها بطلب من البياحة ثم فتحتهما وهي تشعر بصحة جيدة ونشاط كبير، وذهبت عنها كل الآلام، غير أن السمكة أخبرتها قبل ذهابها بأمر مهم عليها أن تقوم به:

السمكة: حين تقابلين ابن السلطان، ستشعرين

بغثيان..

فما عليك سوى أن تطلبي رداءه.. زواج سعيد ومبارك يا صديقتي

غادرت "غريسة" المكان، وحدث ما أخبرتها عنه "البياحة" حين التقت بابن السلطان، إذ شعرت بالغثيان، فما كان من "غريسة" إلا أن تطلب رداءه، وحين قدمه لها، تقيأت فيه ذهباً ولؤلؤاً ومرجاناً، فاندesh ابن السلطان لما حدث، وذهب إلى أبيه وأخبره بتلك الواقعة بتفاصيلها، مما جعل السلطان طمعاً

في الذهب وفي الفضة واللؤلؤ والمرجان أن يزوج ابنه الثاني لابنة زوجة الأب،
ظناً منه بأنها ستتقياً الكنوز في رداء ولده كما فعلت "غريسة" مع ولده الكبير.
وافق ابن السلطان الأصغر على الزواج من ابنة زوجة الأب، وقام بإطعامها
المالح والبصل كل يوم، وحين حان موعد الزفاف شعرت زوجته بالغثيان، ففرش
أمامها رداءه منتظراً الثروة التي ستحل عليه، لكنها لم تتقياً سوى الروائح الكريهة
والبصل والمالح، ولم يخرج من فمها قطعة فضة واحدة.

ندم السلطان على فعلته وطمعه، أما ابنه الصغير فما كان منه إلا أن يطلق ابنة
زوجة الأب، لتعود الشريرة إلى أمها خائبة.

وخلصت الخروقة..

خروفة خرسان وورسان



خروفة خرسان وورسان

كان يا ما كان في قديم الزمان، صياد طيب يصطاد الأرانب والغزلان، عاش بسعادة غامرة مع أمّه وزوجته في منزل بسيط وجميل، في قرية هادئة تقع شرق المدينة كانت تسمى "توهي"، قرية رغم بعدها عن المدينة إلا أنها تنعم بالسلام والطمأنينة وتتمتع بالمناظر الجميلة والطبيعة الخلابة، التي جذبت الناس إلى المكوث والعيش فيها.

لم يدر بخلد الصياد المسكين أن رحلته للصيد هذه المرة ستجلب عليه الكثير من الشرور والمشاكل، لا بسبب مخاطر الصيد وأهوال الصحراء وبعد المسافة، بل بسبب الخلافات التي أخذت بالازدياد بين أمّه وزوجته، خلافات عائلية كانت في الماضي صغيرة، تبدأ وتنتهي بعد أن يصلح الصياد بين المرأتين، إلا أن المشكلة تطورت هذه المرة وزادت عن حدّها ودخلت في مرحلة خطيرة مع معرفة أمه بأن زوجة ابنها تستعد لاستقبال مولودها.

قرر الصياد الذهاب في رحلته المعتادة للصيد والمقررة مسبقاً، والتي هي على الأغلب تستغرق شهرين كاملين، سعادته بحمل زوجته وأنه سيصبح أباً بعد شهور لم تنته عن السعي في طلب الرزق، فالصيد هو مهنته الوحيدة، ومصدره الوحيد الذي يوفر من خلاله متطلبات العيش الكريم لنفسه ولعائلته. الصياد: أوصيكِ بزوجتي خيراً يا أمي. بهذه الكلمات اختتم الصياد حوارهم مع أمه وألقى التحية على زوجته، ثم مضى يشق طريقه نحو الصحراء والبراري بحثاً عن الأرناب والغزلان، بينما وقفت الأم عند باب المنزل تنتظر إلى ولدها وهو يبتعد وفي ذات الوقت تفكر في حديثه معها، وفي زوجته التي قد تصبح سيدة المنزل بعد أن تتجب، وستكون هي الأمرة الناهية على كل شيء، وستتربع فوق قلب ولدها، وستؤول إدارة شؤون المنزل إليها، حتى وصل التفكير بالأم إلى أن زوجة ابنها قد تطلب منها مغادرة المنزل بعد الولادة لتتعم هي وزوجها وأولادها فيه، بعيداً عن منغصات الأم والمشاكل التي تحدث بين حين وآخر.

الأم: يجب أن أضع حدًا لكل هذا! هكذا حدثت الأم نفسها.

وبدأت الأفكار الشريرة تدور في رأسها بسرعة حتى غيّرت من ملامحها وحالتها وأحوالها، ومع اقتراب ولادة زوجة ابنها بدأت الأم بتنفيذ خطتها، فأحضرت وعاء الماء الساخن الذي كان يرتجف بين يديها وكشف قلقها وتوترها وما هي مُقدمة عليه بحق زوجة ابنها، التي لم تنتبه لما تدبره لها الأم، منشغلة عنها بآلام المخاض والولادة وأوجاعها.

خرسان وورسان، هما التوأم الذي وضعتهما زوجة الصياد بعد معاناة وإجهاد وتعب، ثم أغمضت عينيها مستسلمة للراحة والنوم ظناً منها بأنها تركت ولديها في أياد جدتهم الأمينة لتعتني بهم كما تفعل جميع الجدّات الطيبات مع أحفادهن، ولم تكن تشك أدنى شك بنوايا حماتها، أو أن تدرك ما قد خبأه لها القدر. أم الصياد أو جدة الحفيدين أو عمة الزوجة، كل هذه الصفات غادرتها بعد أن قررت الإقدام على فعلتها النكراء، بأن انتظرت حلول الليل، ولفّت الطفلين

الحديثي الولادة خرسان وورسان بقطعة قماش كبيرة، مسابقةً الريح في خروجها من المنزل نحو مزرعة بعيدة مهجورة وهي تتلفت يميناً ويساراً خشية أن يقع على سرها أحد، حتى وصلت بئراً عميقة ومظلمة لا حياة فيه، فألقت الطفلين فيها وعادت إلى المنزل بدون أي تأنيب لضميرها وكأن شيئاً لم يكن. مع بزوغ شمس اليوم الذي تلا جريمة الأم، استفاقت أم خرسان وورسان على صوت بكاء والدة زوجها ونحيبها الطويل، فبادرتها بالسؤال قلقاً ومستغربةً: الزوجة: لماذا تبكين يا عمتي؟ هل حدث لزوجي مكروه؟

الأم: بل ولدك يا ابنتي.. خرسان وورسان أجمل ما رأيت عيني من صبيان، لكنهما وُلداً عليّين وفارقا الحياة، وقبل قليل عدت إلى المنزل بعد دفنهما.

شهران مرّاً على تلك الحادثة المروعة، واعتقد جميع أهل القرية أن الولدين ماتا بالفعل بسبب المرض وليس بسبب أمر آخر، فما كان من الزوجة إلا أن تلوذ بالصبر وتواري دموعها عن زوجها الذي عاد من

صيده متلهفاً للقاء أمه وزوجته وما أنجبته زوجته من أولاد، فانتابته حالة شديدة من الحزن لما أصابه وأصاب زوجته وأمه من مصاب جلل بفقدان ولديه الاثنين دون أن يكحل عينيه برؤيتهما.

عشر سنوات مضت والصيد على حاله لم يعرف السبب الحقيقي لوفاة الولدين، محتفظاً بأمله في أن تنجب زوجته مرة أخرى، فقد كان شغوفاً بأن يصبح أباً يوماً ما، لكن انتظار الصيد طال بلا جدوى، فاختار أن يفتح والدته بالأمر، من أجل أن تبحث له عن امرأة أخرى يتزوجها لكي تنجب له من يخلفه من بعده. لم ترحب أم الصيد بالفكرة، وعارضتها بشدة خوفاً من أن تنجب زوجته الجديدة، وتذهب جهودها وما فعلته في زوجته الأولى وولديها سدى، وكذلك خشيت الأم من كلام أهل القرية عن ابنها، فعُرف أهل هذه القرية بأنهم لا يتزوجون إلا من امرأة واحدة فقط، وقد يقدمون على ذلك بعد وفاة الأولى، لكن الأم رضخت في نهاية الأمر إلى رغبة ابنها، مخفية الشرور التي كانت تحضرها للزوجة الثانية وكما فعلت مع

زوجة ابنها الأولى.

ثم بدأت رحلة البحث عن زوجة أخرى للصيد. عثرت الأم على الزوجة الجديدة المناسبة لها ولولدها، وبادرت في الذهاب إلى بيت أبيها لخطبتها، وتمت الخطبة بخير وسلام، وتحدد يوم الزواج وبدأ الصيد بالاستعداد لذلك اليوم، وانتشر الخبر في كل مكان، وتحضرت القرية لتلك الليلة بالزينة وكل مظاهر الفرح والسعادة.

وجاء يوم انكشاف السرّ والمستور، يوم الزواج الذي حضره جمع غفير من أهل القرية، فالصيد يحظى بمحبة الجميع واحترامهم وكل من في القرية جاء لتهنئته ومباركة زواجه، حتى تلك المرأة العجوز التي لفنت الأنظار إليها بهيئتها الغريبة، وبتوبيخها لطفليها اللذين لا يزالان في سن العاشرة، الأمر الذي لمحّه الصيد واستغربه، فتوجه نحوهم بهدوء شديد يتسمّع عن بعد أسباب شجار المرأة مع ولديها، كي يتدخل في حل المشكلة إذا لزم الأمر، وكانت المفاجأة الكبرى حين سمع حوارهم وما دار بينهم من حديث:

الطفل ١: لماذا أحضرتنا إلى هنا؟

الطفل ٢: المكان يمتلئ بالضوضاء ونحن نحب الهدوء.

المرأة العجوز: يجب أن تحضروا.. إنه زواج أبيكما

الطفل ١: منذ أن ولدنا ولم نعرف لنا أباً.

الطفل ٢: لقد تخلى عنا ولم يكلف نفسه عناء السؤال عنا.. أنتِ أمنا وأبونا

صُنع الصياد بما سمع، وانزلت من عينيه قطرات الدمع حتى غطت وجهه بالحزن والأسى، فالتفت نحو العجوز والولدين واقترب منهما، وما إن لمحته العجوز حتى أمسكت بالولدين كل واحد منهما بيد وركضت إلى الخارج، ركض وراءهما الصياد بكل ما يمتلكه من سرعة، وحين وصلت المرأة والولدان إلى منطقة مظلمة حيث موقع البئر، ألقت بالولدين وبنفسها داخل البئر واختفت عن أنظار الصياد. مشاعر الأبوة التي تحركت داخل روح الصياد جعلته أكثر جراً وإقداماً على خوض المخاطر حتى لو كلفه ذلك حياته، استجمع شجاعته وكامل قواه وقرر النزول

في البئر لمعرفة السر الذي بدأ ينكشف له بالتدريج، وما هي إلا لحظات حتى وجد الصياد نفسه داخل البئر والظلام يحيطه من كل جانب، مشى بخطوات ثقيلة وحذرة حتى تراءت له حفرة عميقة يلمع منها ضوء خافت، فقرر دخولها ليجد نفسه في مدينة كبيرة مضاءة بالألوان تعج بالناس، ولمح بينهم المرأة العجوز ذاتها تجلس على قارعة طريق، فتوجه دون تفكير نحوها حتى وصل إليها. نظرت إليه المرأة العجوز بطرف عيناها، وحدثته:

المرأة العجوز: خاطرت ونزلت إلى البئر..

سأكافئك يا ولدي.. اجلس أيها الصياد.. وسأقص عليك كل ما حدث.

الصياد: هل تعرفيني؟ هل الولدان اللذان رأيتهما في حفل زواجي هما ولداي؟ وقصّت له المرأة العجوز كل ما حدث، واعترفت له بأنها جنيّة سكنت البئر منذ مئات السنين، وحمّت الولدين منذ يوم ميلادهم من بطش أمه حين ألقتهم في البئر، وأخذت في تربيتهما حتى كبرا، وأخبرته بكلمات أمه

عن سبب رميها للولدين بأنها لا تريد لأحد أن يأخذ ورثها بعدك، وأن زوجتك ستكون هي سيدة البيت إن أنجبت.

احتضن الصياد ولديه خرسان وورسان بلهفة، وكنم غيظه من أمه الذي ظل مستغرباً من تصرفها مع زوجته وأولاده، وعن أي ورث تحدثت تلك العجوز..!

شكر الصياد الجنيّة على ما قدمته لولديه من حسن معاملة وتربية، وأخذهما وغادر البئر، ثم أخفاهما في منزل بعيد عن القرية حتى يتحقق من صحة ما روته الجنيّة له، فذهب إلى كبار أهل القرية الطاعنين في السن، لتتكشف له الحقيقة المُرّة حين أخبره أحدهم، بأن المرأة التي تزوجها أبوه رحمه الله ليست أمه، إنما هي زوجة أبيه تزوجها بعد وفاة أمه وحاول جاهداً في إخفاء هذا الأمر عنه وعن أقربائه وأصدقائه، حفاظاً على مشاعرك ومشاعرها يا ولدي، ولم يكن يعرف بالسوء الذي نشأ في داخلها وجعلها تقدم على جريمة كتلك التي اقترفتها.

تفاجأت زوجة الأب بمقدم الصياد ومعه خرسان

وورسان وبدت مرتبكة وخائفة، أما زوجته الأولى فعرفت أولادها بقلب الأم
وركضت نحوهما واحتضنتهما، وقبل أن تتفوه زوجة الأب بأي كلمة، نادى الصياد
رجال الشرطة الذين كانوا ينتظرون منه الإشارة خارج المنزل، وألقوا القبض على
زوجة الأب، وحكم القاضي عليها بالسجن جزاء ما ارتكبت من شرور.

أما الصياد وزوجته وولده خرسان وورسان، فقد عاشوا في سعادة وهناء بعد أن
ألغى الصياد فكرة الزواج بأخرى، وظل يعمل في الصيد، من أجل تأمين العيش
الكريم لزوجته وأبنائه اللذين أصبحا رفاق أبيهم في كل رحلة صيد يذهب إليها.

وخلصت الخروفة.

بيض يحمل وبيض يعقر



بيض يحمل^(١) وبيض يعقر^(٢)

كان يا ما كان في قديم الزمان، كانت هنالك فتاة طيبة يتيمة الأبوين تعيش في منزل بسيط في قرية مع أخيها وزوجة أخيها، وكان أخوها يمنحها كل المحبة والاحترام، ويعوضها على الدوام عن فقدان أمهما وأبيهما بالعطف والحنان والمودة، كما أنه وفر لها كل سبل الراحة والعيش الكريم وكان لها الأخ والأب والأم والصديق.

لم يعجب هذا الأمر زوجة الأخ، إذ وضع زوجها أخته محور اهتمام العائلة، وكان يجزل على أخته بالعطاء والهدايا في كل رحلة صيد يقوم بها، فهو يصطاد الحيوانات البرية ويكسب رزقه من بيع جلودها في رحلات صيده الكثيرة والتي على الأغلب تستغرق أسابيع وربما شهوراً.

زوجة الأخ تركت كل أشغالها وأعمالها ولم تركز في أمر إلا في كيفية التخلص من أخت زوجها بأي طريقة، كي

(١) يُلقح للحمل

(٢) يسمّن

تصفو لها الحياة كما تظن، وتستأثر بحنان وعطف ومودة زوجها لوحدها، بعيداً عن أخته التي تشاركها كل شيء في زوجها ومنزلها وحياتها. وصل إلى مسامع زوجة الأخ أن هنالك تاجراً وصل إلى القرية يبيع بيضاً سحرياً، الأمر الذي أسعدها كثيراً، وقررت الذهاب إليه لشراء البيض حينما يصل بسفينة بضائعه إلى القرية. بعد أيام توافدت السفن البحرية و"المحامل" على القرية، تلك السفن التي تجلب البضائع تجعل من الشاطئ منطقةً للبيع والشراء حيث يقبل الناس على بيع بضائعهم للتجار وشراء ما يحتاجون إليه من البضاعة القادمة إلى قريتهم، وبينما زوجة الأخ تتمشى على الشاطئ بحثاً عن التاجر الذي يبيع البيض السحري، سمعت منادياً ينادي وسط السوق بصوت قوي وجمهوري:

المنادي: من يشتري مني البيض؟؟ "بيض يُحْمَل وبيض يعقّر".

هذه الكلمات المحلية تختص بها مدينة دبا دون غيرها، ومعناها أنه عند أكل البيض الذي "يُحْمَل" سيجعل

من الفتاة تحمل مولوداً في أحشائها، أما البيض الآخر الذي "يعقر" فمعناه أن يسمن الفتاة ويجعلها جميلة ونضرة، إذ إنه في السابق، كانت السمنة علامة من علامات جمال المرأة وتلفت الرجال إليها وتصبح مطلباً للرجال من أجل الزواج.

وقفت زوجة الأخ مبهورة بما تسمع، واقتربت من المنادي وهي تصغي لكلماته التي جعلتها لا تتردد في الإقبال عليه، وسؤاله ما إذا كان هذا البيض هو البيض السحري الذي سمعت عنه وجلبه التاجر إلى القرية، وحين أجابها بنعم، اشترت زوجة الأخ كميةً من البيض ومن كلا النوعين، كي تحتفظ بالذي يسمن لنفسها لتصبح جميلة ونضرة أمام زوجها، ولكي تعطي النوع الثاني لأخت زوجها لتنفذ خطتها الشريرة وتتخلص منها إلى الأبد.

قبل عودة زوجها من رحلة الصيد، أخفت البيض السحري في مكان آمن بعيداً عن أنظار زوجها وأخته، وانتظرت الزوجة مغادرة الصياد في رحلة صيد جديدة كي تنفذ خطتها، ولا تدع مجالاً لشك زوجها بما تنوي

القيام به.

ودع الزوج أخته بعد أن قدم لها عدداً من الهدايا كما في كل مرة، ثم سلّم على زوجته وأوصاها خيراً بأخته كما يفعل في كل مرة يذهب بها إلى الصيد، ثم غادر المكان وأنظار زوجته تراقبه وهو يبتعد:

زوجة الأخ: الآن هو الوقت المناسب لتنفيذ الخطة.. وريثما يعود من رحلته سيرى ويشاهد بنفسه ما سيحل بأخته.

هكذا فكرت.

ثم ابتسمت ابتسامة صفراء، وبدأت بخبث بالحديث اللطيف مع أخت زوجها، ثم بخداع ومكر أخبرتها بأنها تحبها كثيراً وتتمنى لها الخير في حياتها، ولذلك اشترت لها من أحد التجار وبثمن باهظ بيضاً لا مثيل له، سيجعلها سميكة ونضرة ولكي تصبح أجمل فتيات القرية وحينها سيتقدم لخطبتها الفرسان وأشجع فتيان القرية. بطيبتها المعتادة ولكونها لا تضر سراً لنوايا زوجة أخيها، فرحت الأخت بالبيض، وشكرت زوجة أخيها

على اهتمامها بها ورعايتها لها ومنحها فرصة للزواج من أفضل فتيان القرية.

أخذت الأخت البيض وأسرعت نحو المطبخ لتقوم بطهيته وأكله، وسط نظرات خبيثة رمقتها زوجة أخيها بها، في انتظار ما سيحدثه البيض السحري في أخت زوجها من آثار عظيمة، فزوجة الأخ احتفظت بالبيض الذي يسمن ويجعل النساء نضرات لنفسها، وخدعت أخت زوجها المسكينة بأن أعطتها البيض الذي "يعقر" (يحمل) أي يجعل المرأة تحمل مولوداً، وبذلك ستصبح أخت زوجها حاملاً من غير زواج وستحمل العار في أحشائها، من أجل أن تتخلص منها إلى الأبد.

أيام مرّت، وبدأ مفعول البيض يجري في عروق أخت الزوج بعد أن تناولت كميات منه، بادئ الأمر لم تشعر الأخت بآثاره على جسدها، إلا أنها ومع مرور الوقت أخذت بطنها بالانتفاخ تدريجياً، مما أثار شكوكها ومخاوفها، وانتابتها الوسوس والهواجس بشأن هذا الانتفاخ الذي تعرفه جميع النساء على أنه مؤشر على بداية حمل.

لا يزال أخوها في رحلة الصيد ولم يعد منها، أما الأخت فاختارت الانعزال عن جميع الناس بما في ذلك زوجة أخيها في غرفتها، أما بطنها فهي تتواصل في الارتفاع. في الجانب الآخر من البيت كانت زوجة الأخ تزداد سمناً وجمالاً ونضارة، بعد أن التهمت كامل البيض الذي

"يعقر" أي يسمن، في فرحة كبيرة غمرتها بالسعادة حينما تلصقت على أخت زوجها من نافذة غرفتها، ورأتها ببطن منفوخة تبكي وتندب حظها، ولا تعرف بماذا تواجه أخاها وكيف ستشرح له الأسباب وكيف سيقنع بكل ما تدعيه عن حكاية البيض المسحور. كانت زوجته أول مستقبليه عند الباب حينما عاد من رحلة الصيد، فتفاجأ بفرح بمنظرها الجميل وباستقبالها الحار له، بينما عيناه تتلفتان يميناً ويساراً بحثاً عن أخته التي كانت في السابق وفي كل رحلة صيد يعود منها تكون واقفة عند الباب لاستقباله ولقائه. كظم الصياد غيظه وغضبه من أخته؛ لأنها لم تستقبله هذه المرة، واختار تجاهلها كما فعلت هي وتجاهلته، بعدما أخبرته زوجته أن أخته حبست نفسها

في غرفتها، ولا تريد أن تكلم أحداً لأسباب مجهولة، فأتى الصياد عقابه لأخته بالتجاهل وارتمى في أحضان زوجته التي سحره حسناتها وجمالها ونضارتها، وقضى الصياد الليلة تلو الليلة مع زوجته ولم يعر أي انتباه لأخته ولا لغيابها وعزلتها.

مرّت الأيام وأخته لا تزال على حالها في غرفتها لم تأت لاستقباله ولا حتى فكرت في أن تسلم عليه، فنقد صبر الأخ، وبعد عدة محاولات منه في إقناعها بأن تفتح له الباب، خضعت أخته لضغوطاته وإصراره وفتحت الباب لأخيها ليصعق بما رأى، حين وجد أخته العزباء ببطن منتفخة دون زواج، ثارت ثائرتة وخرج إلى زوجته والغضب يسيطر على جسده وروحه، فما كان من زوجته إلا أن تكمل خطتها الشيطانية، وتدعي أنها مندهشة مثله لما ارتكبتها أخته من عار سيلطخ سمعتها وسمعته إن علم أحد بالأمر، وعزت حبسها لنفسها في غرفتها جراء ذلك خشية افتضاح أمرها ومعرفتنا به.

دخلت الزوجة على زوجها وهو حزين وغازب يجلس في غرفته وحيداً وقد شغله التفكير في حلّ ينقذ سمعته

وسمعة العائلة مما فعلته أخته:

زوجته: ماذا سنقول لأهل القرية؟؟ العار

سيطاردنا إلى الأبد.. لكن هنالك حل، أصغى الصياد إلى زوجته وهي تتحدث عن الحل الذي رتبت له منذ البداية، فاقترحت عليه أخذ أخته والذهاب بها إلى مكان بعيد مقفر لا تصله أقدام بشر، فيقتلها ويدفنها ويدفن معها عاره. فكر الصياد بما أملت عليه الشيطانة زوجته ولم يوافقها إلا بعد إلحاح منها، رغبةً منه في أن ينهي كل شيء الليلة قبل أن يقع على سرهم أحد.

ولأنها لن يهدأ لها بال حتى تتأكد من موت غريماتها، خدعت زوجها الصياد على أنها تخشى على نفسها من الفضيحة، وأنها لن تجلس في منزله وقد تطلب الطلاق منه إذا لم يثبت لها أنه بالفعل أقدم على غسل عاره وعارها وقتل أخته، وذلك من خلال جلب قطرات من دمها إليها لتتأكد من موتها.

مرت الأيام والصياد لا يزال متردداً في الذهاب بأخته إلى حيث موتها، وبالإلحاح كبير من زوجته، كذب على

أخته وأخبرها بأنها سترافقها في رحلة بعيدة لزيارة أحد أقاربهم الذي يسكن في قرية بعيدة عن قريتهم، وعند الفجر وقبل طلوع الشمس انطلقا مسرعين قبل أن يستيقظ أهل القرية خشية أن يلحقهما أحد، ويكشفوا سرّ أخته الحامل، وتبدأ الأسئلة. مشى الصياد مع أخته مسافات شاسعة، وعبروا خلالها الصحاري والتلال والجبال، وأخته على الدوام تسأله عن سبب هذه الرحلة وهذه المسافات التي يقطعانها ومتى سيلتقيان بأقاربهما، غير أن الصياد لجأ إلى الصمت، وعقله مشغول بكيفية قتلها وأين ومتى؟ بالإضافة إلى أنه ظلّ في حالة متأرجحة من المشاعر داخله، فمرة قلبه يلين على أخته ويفكر في مسامحتها، ومرة يغتاظ من فعلتها ويقرر معاقبتها، إذ لم يكن يعلم ما دبّرت زوجته لأخته المسكينة، وأنه ذاهب إلى قتل أخته البريئة من كل دنس وعار. حلّ الليل، وافترشا فراشهما على الأرض في وادٍ لم تطأه أقدام بشر منذ سنين طويلة، وبعد أن تناولا طعامهما وخلدت أخته للنوم بعد تلك الرحلة الشاقة، ظل الأخ

مستيقظاً ينظر إليها، حتى تأكد من أنها غطت في نوم عميق، فقرر الإقدام على قتلها، وفي اللحظة التي رفع فيها سكينه ليضعه في جسدها، توقف عن ذلك، فقلبه لم يطاوعه على قتل أخته، وفي ذات الوقت زوجته ستتركه وتغادر منزله إن لم يأت لها بقطرات دم أخته كدليل على أنه قتلها.

فاختار الصياد الذهاب مع قلبه ولم يقتلها، فقام بقطع الفراش الذي كانا ينامان عليه إلى نصفين، أخذ نصفه وغادر المكان بسرعة، تاركاً أخته وحيدة للوحوش والذئاب فهما كفيلا بمحاسبتها ومعاقبتها على فعلتها الشنيعة تلك كما فكر، أما الدليل الذي سيحمله لزوجته، فاصطاد الصياد أثناء رحلته في العودة إلى منزله طيراً أخذ القليل من دمه لزوجته كدليل على أنه أنهى كل شيء وغسل عاره وعارها. ما إن رأت زوجة الصياد دم الطير على فراش زوجها، اصطنعت الحزن وارتمت في أحضانه مظهرةً مواساتها له على فقد أخته، غير أنها في داخلها فرحت فرحاً كبيراً لتخلصها ممن كانت تقاسمها محبة زوجها حتى

لو كانت أخته، ظانّة أن الدم الذي على الفراش هو دم أخته وليس دم طائر .
في الصباح، كانت الفتاة على موعد مع القسوة، حين استيقظت لتجد نفسها وحيدة
بدون أخيها في صحراء لا ماء قريبا ولا طعام ولا عضيد أو مساعد، حتى أنها لا
تعرف مكان تواجدها، التجأت الفتاة المسكينة للبكاء وظلت في مكانها لا تعرف
أين تتجه، حتى داهمها الليل فجلست متعبة تنتظر الغد لتكمل مسيرها الذي لا
تعرف له نهاية.

أثناء لحظات الانتظار تلك، سمعت وقع أقدام تقترب منها، ارتعدت خوفاً
واستدارت لتشاهد ثلاثة رجال بأشكال غريبة يقتربون منها، علمت لاحقاً أنهم
يسكنون هذا المكان:

الجنّي الأول: لا تخافي يا ابنتي.. أنا

جنّي طيب من سكنة هذا المكان، هدأت الفتاة قليلاً بعد معرفتها بأنهم طيبون
وليسوا أشراراً، وتركتهم يكملون حديثهم:

الجنّي الثاني: رأينا كل ما حدث بينك

وبين أخيك..

الجنّي الثالث: وعلمنا بما حدث في المنزل أيضاً

من زوجة أخيك الشريرة..

الجنّي الأول: وكيف خدعتك وجعلتك تأكلين البيض المسحور

الجنّي الثاني: البيض الذي يجعل من تأكل منه تحمل

الجنّي الثالث: واحتفظت لنفسها بالآخر الذي يجعل من تأكل منه تسمن وتصبح
نضرة.

فرحت الفتاة بهم، ووجدت مَنْ تشاركهم أحزانها، وأسعدها أكثر أنهم وعدوها بأنهم
سيبقون إلى جانبها ولن يتخلوا عنها كما فعل أخوها، ولذلك قرر الثلاثة مساعدتها
بتحقيق أمانيتها، فكل جنّي بإمكانه تحقيق أمنية واحدة للفتاة فقط. الجنّي الأول
منحها شجرة سدر كبيرة، تنتج أجود وأكبر أنواع النبق "الكنار"، وعين ماء تجري
تحتها، أما الجنّي الثاني فقد منحها قصرًا فخماً جميلاً، وأحضر الثالث لها الخدم
والحشم من أجل القيام على خدمتها ورعايتها.

عاشت الفتاة المسكينة بقصرها وحولها خدمها وحشمها وحدائقها وبساتينها التي أهداها إليها أصدقائها الجنّ، وجاء وقت مخاضها لتلد ثلاثة أطفال كانوا ابنين وبنتاً واحدة، غير أن الأطفال الثلاثة ليسوا بشراً عاديين، بل يمتلكون القدرة على التحول إلى عصافير بأجنحة، تطير حيثما تريد، ثم ترجع إلى هيئة أطفال عاديين وقتما تريد، أو عند عودتهم في الليل إلى المنزل لحضن أمهم. تناست الفتاة التي تحولت إلى أم كل ما حدث لها في السابق من زوجة أخيها وأخيها، وبدأت تعيش حياتها مع أطفالها بعيداً عن القسوة والظلم، غير أن الأقدار تدخلت لتتصفها وتعيد إليها كرامتها وكبرياءها. ففي صبيحة العيد، والناس منشغلون في القرية بالأفراح وإقامة الولائم، وكتقليد يحدث كل عام إذ ينثر أهل القرية حبوب القمح وورق الحناء والياس قبل ليلة العيد بيوم كي يتعرض لأشعة الشمس، انجذبت لتلك الحبوب العصافير، ومن ضمنها عصافير الأخت، وشاءت الأقدار أن يكون الصياد الأخ قد شمر عن

ساعديه وأمسك سكينه ليذبح ذبيحة العيد، قريباً من الحبوب التي نثرتها زوجته في حديقة منزله. هجمت العصافير على الحبوب من أجل أن تملأ بطونها منه، اقترب الصياد منها لكي يبعدها عن الحبوب، وإذا هو يتفاجأ بعصافير لم ير مثلاً من قبل، عصافير بأشكال غريبة وتصدر زقزقة مختلفة عن الأصوات التي تصدرها باقي العصافير، فتوقف الصياد متسماً يتابع ما يحدث، أما زوجته فقد خرجت مذعورة على حبوبها وبدأت بإبعاد العصافير عنها وهي تقول:

زوجة الأخ: كش^(٣).. كش.. بسم الله.. كش كش

باغتتها صوت أحد العصافير في الرد، حيث صُغِقت مما سمعت هي وزوجها:

أحد العصافير: كش كشك^(٤).. وانتقر^(٥) عشك.. هذا

مب بيتك.. ونحن مب حرامية..

هذا بيت خالنا.. اذهبي سينتهي بيتك..

غادرت العصافير المكان بسرعة، تاركة الصياد وهو

(٣) كلمة تستخدم لإبعاد الحيوانات

(٤) الشعر الغير مسرح

(٥) تفرق

يحاول إيقاظ زوجته من إغماءتها، حيث إنها غابت عن الوعي لحظة سماعها كلام العصافير من شدة خوفها وفزعها.

ظل الصياد يفكر فيما حدث أمام منزله صبيحة العيد، دون أن يخبر زوجته بما يضره من أفكار، إذ إنه كان دائم السؤال بينه وبين نفسه:

الصياد: كيف للعصافير أن تتحدث؟ ولماذا

هم على هذه الأشكال الغريبة؟ ولماذا كانوا يقولون لزوجتي هذا البيت ليس بيتك؟ ومن هو خالهم الذي تكلموا عنه؟ كثرة الأسئلة التي دارت في خلده جعلته يقرر مراقبة العصافير، وقام بنثر الحبوب أمام منزله في ذات المكان الذي وقفت فيه العصافير، وظل الصياد ينتظر أياماً وأياماً، حتى حدث ذات صباح ما توقعه، بأن حطّت العصافير قرب منزله من أجل تناول حبوب القمح المنثورة، وقف يراقبهم من بعيد، وفكر في حيلة تمكنه من اقتناء أثرهم ومعرفة السر الذي يكمن وراءهم، فرمى بقطعة لحم عليها الكثير من الدم، من أجل أن

يخطفها أحد العصافير، ويستدل بقطرات الدم التي تتساقط منها على الطريق الذي سلكوه فتتكشف له الحقيقة.

وحصل ما أراده، حيث خطف أحد العصافير قطعة اللحم المدماة وطار بعيداً وقطرات الدم كانت دليل الصياد الذي أوصله إلى القصر الكبير الذي توقف كثيراً عنده قبل أن يقرر دخوله لمهابة بنيانه وشكله الجميل، وكذلك لأنه أحس أحس بأن الطريق الذي سلكه، والمكان الذي وصل إليه وهو مكان القصر ليس غريباً عنه ومألوف لديه، لكن باءت كل محاولاته في التذكر بالفشل.

استجمع الصياد شجاعته وتقدم نحو باب القصر وطرق على الباب، ليأتيه صوت خادمة من الداخل:

الخادمة: من أنت؟ وماذا تريد؟

الصياد: أنا صياد.. فقط أردت أن أعرف من هو صاحب هذا القصر؟

الخادمة: إنها امرأة.. وهي لا تستقبل الرجال في قصرها..

إن كنت ترغب في قليل من الماء والطعام فسوف أحضره لك.

الصيد: لا بأس..

وفت الخادمة بما وعدت، وخرجت إليه وأعطته قدحاً من الماء وقليلاً من الطعام، أكل الصيد حتى شبع، وشرب حتى ارتوى، وقبل أن يعيده إليها ويشكرها، وضع خاتمه في القدح، وطلب من الخادمة أن تعطيه لسيدتها صاحبة القصر هدية منه على حسن ضيافته وتقديمها الطعام والشراب له.

فعلت الخادمة ما طلبه منها الصيد، وما إن رأت الفتاة خاتم أخيها في قعر القدح، حتى فرحت فرحاً شديداً، ثم اختارت أجمل ما لديها من ثياب وخرجت لاستقباله، ثم ارتمت في أحضانه ودموع الفرح تتقاطر من وجهيهما.

قصّت الفتاة لأخيها كل ما حصل لها، وأنها ابتلعت الطعام الذي وضعته لها زوجته، وأنها بريئة من العار، وحكت له كل ما كان بعد ما تركها في الصحراء لوحدها، وولادة العصافير والقصور والخدم والحشم

والحدائق والبساتين.

بكى الصياد بكاء شديداً على ما اقترفه في حق أخته البريئة، وأنه كاد أن يقتلها بعد أن انطلت عليه خدعة زوجته الماكرة.

عاد الصياد إلى منزله واشتكى زوجته عند القاضي الذي أمر بسجنها ومعاقبتها عقاباً عسيراً، ثم عاد إلى أخته وأبنائها وعاشوا جميعاً في القصر بسعادة وهناء.

وخلصت الخروفة...

أم داس



أم داس

يحكى أنه كان هنالك مزارع طيب، يُدعى "الدرهمي" يعيش في قرية صغيرة، ويمتلك "نخل^(١)" وهي باللهجة المحلية تطلق كناية عن المزرعة، كان المزارع يعمل فيها ويزرع ثم يحصد ثم يبيع الثمر الذي يجنيه منها، وكانت له زوجة جميلة رزق منها بثلاثة أطفال:

صَبِيَّان وصَبِيَّة.

"الدرهمي" كما في كل يوم، يخرج من منزله بنشاط للعمل في المزرعة منذ الصباح الباكر وحتى المساء، زوجته مثله تماماً تستيقظ من الفجر لتعد لزوجها ما لذ وطاب من أشهى الأكلات للفطور، وكذلك الغداء الذي يحمله زوجها معه إلى المزرعة، وفي بعض الأوقات يأخذ أولاده معه ليعلمهم مهنة الزراعة، أما هي فتقضي يومها في ترتيب وتنظيف المنزل واستقبال ضيوفها من نساء أهل القرية، وأحياناً يأخذها زوجها معهم إلى المزرعة كنوع من أنواع النزهة.

(١) مزرعة

مزرعة "الدرهمي" معروفة لدى القاصي والداني بأشجارها المورقة وثمارها اللذيذة، فقد كان يزرع فيها أنواعاً ذات جودة عالية من النخيل، كما أن مزرعته اشتهرت بفاكهة "الهمبا"^(٢)، وكذلك "اللومي"^(٣)، و"الفندال"^(٤)، بالإضافة إلى "اليح"^(٥) أو "الجح". ولأن الحياة على الدوام حُبلَى بالمفاجآت والتقلبات، أحس "الدرهمي" ذات يوم وهو جالس في مزرعته بأن هناك من يراقبه ويتلصص عليه، حتى وصل به الحال إلى إخبار زوجته عن هذا الأمر، والتي بدورها طمأنته وهدأت من روعه بأن ما تراءى له مجرد إجهاد وإرهاق أصاباه بسبب مشقة العمل المتواصل في المزرعة. نسي المزارع حادثة التلصص تلك، وأخذ يزاول عمله المعتاد في المزرعة دون منغص، حتى فاجأته في أحد الأيام أثناء تناوله لفطوره ريح قوية لشدتها تساقطت ثمار "الهمبا" من الأشجار، ولمح أثناء هبوبها شخصاً ما يختبئ وراء الأشجار، حتى راح ينادي وهو خائف

(٢) فاكهة المانجو

(٣) الليمون

(٤) البطاطا الحلوة

(٥) البطيخ

ومرتعب:

"الدرهمي": من هناك؟؟ من هناك؟؟

زاد من رعب "الدرهمي" عدم تلقيه لأي رد، وبدأت الأفكار والتساؤلات تدور في رأسه، إذ ليس من عادة الريح الهبوب بقوة في مثل هذا الوقت من السنة: "الدرهمي": أجواء الطقس تغيرت.. سبحان مغير الأحوال.

بهذه الكلمات طمأن نفسه وعاد إلى فطوره، ليندهش باختفاء ما كان يتناوله من فطور بالكامل، ورؤيته لآثار خطوات غريبة في نفس المكان الذي كانت موضوعة عليه وجبة إفطاره، تلك الخطوات آثارها تشير إلى أنها قد توجهت إلى وسط المزرعة باتجاه "اليازرة"^(٦)، فما كان منه إلا أن يستجمع قواه ويتغلب على رعبه ويذهب نحو اقتفاء آثار تلك الخطوات، حيث إنه كلما تقدم خطوة تقترب منه رائحة زكية، حتى رأت عيناه ما لم يتوقعه أبداً، إذ وقفت قبالته امرأة جميلة أخفت يديها ورجليها بعباءة، وتقوح منها العطور الزكية التي

(٦) أداة قديمة تستخدم للري

لم يشم مثلها من قبل، فبادرها بالأسئلة:

"الدرهمي": من أنت؟؟ وماذا تفعلين هنا في مزرعتي؟؟ ولماذا سرقتِ فطوري؟؟

وبخجل شديد ردت المرأة:

المرأة: كنتُ جائعة.. وخفتُ أن تنتهيه ولا تطعمني.. فأخذته من غير إذنك.. كما أنني دخلتُ مزرعتك أيضاً من غير إذنك.. أرجوك.. سامحني دُهش "الدرهمي" لما سمع ورأى، ثم منحها العذر لما فعلت.

"الدرهمي": أنا ومزرعتي فداء لمن لا طعام له.. أعين المحتاج وأساعد عابري

السيبل.. خذي كل ما تحتاجين إليه من مزرعتي..

فرحت المرأة بهذه الكلمات، وما كان منها إلا أن تبتسم وتغادر، تاركة المزارع في حيرة من أمرها وماذا تخفي وراء قدومها. وبعد عودته إلى منزله وهبوط الليل حاول جاهداً الذهاب إلى النوم لكن التفكير شغل فكره وحرَمَ عينيه منه، حاول الاستعانة بزوجته والحديث معها عن تلك الحادثة الغريبة التي حصلت له في

المزرعة غير أن مانعاً ما دفعه إلى عدم البوح لها بأي شيء .

بزغ الفجر ، ونهض "الدرهمي" كعادته لصلاة الفجر ، أنهى صلاته وذهب مسرعاً نحو مزرعته لعله يعثر على إجابات لما يشغل باله من أمر تلك المرأة ، حتى أنه لم يوقظ زوجته بل حمل ما استطاع حمله من فطور وغادر المنزل ولا تزال الأسئلة تتقاذف في رأسه ، حتى وصل إلى المزرعة وتناول فطوره وأبقى قليلاً منه تحسباً لقدوم تلك المرأة مرة أخرى .

انتظر "الدرهمي" طويلاً ولم تأتِ المرأة ، وغلبه النعاس كونه لم ينام في الليلة الماضية ، ولم يوقظه سوى أذان صلاة الظهر ، إذ أفاق مفزوعاً كونه تأخر عن عمله في المزرعة ، وخشية ألا ينجز جميع أعماله خلال النهار سارع إلى الوضوء وأداء صلاة الظهر ، وتوجه بعدها نحو حقول مزرعته ليتفاجأ برؤيته المزرعة وقد أنجزت كافة الأعمال المطلوبة فيها حين كان نائماً ، الأمر الذي دفعه إلى الاستغراب :

"الدرهمي" : ما الذي يحدث هنا؟؟ من الذي قلم

الأغصان وسقى الأشجار وجمع الثمار في السلال؟؟ من أنت؟؟ من تكون يا هذا؟؟ ولماذا تتواجد في مزرعتي؟؟ ومن أذن لك بالعمل فيها؟؟ أجبني؟؟ على الأقل كي أدفع لك أجر عملك؟؟

لم يتم "الدرهمي" كلماته حتى هبت ذات الريح التي عصفت بالمزرعة بالأمس، غير أنها أخف قليلاً هذه المرة، فقفزت إلى ذهنه المرأة التي رآها في المزرعة وانتظر قدومها غير أنها لم تحضر، وهدأت الريح ولم تحضر. في المساء غادر "الدرهمي" مزرعته باتجاه المنزل، وقبل وصوله منزله مرَّ على جاره في مزرعته ليسلم عليه ويحكي له ما جرى وما يجول في صدره من وساوس بخصوص امرأة المزرعة التي لا يعرف عنها شيئاً سوى أنها التهمت طعامه وقامت بجميع أعمال مزرعته، فجاره رجل كبير في السن ومن عمر والد "الدرهمي" المتوفى، وأكثر خبرة من "الدرهمي" بأمور المزارع وسكانها وملاكها.

الدرهمي: هود^(٧).. هود..

(٧) كلمة محلية تستخدم للاستئذان بالدخول

وهي كلمة محلية تقال طلباً لاستئذان الدخول وأن شخصاً غريباً عن أهل المنزل يرغب في الدخول، بهذه الكلمات وقف "الدرهمي" عند باب مزرعة جاره ينتظر الإذن، فرد عليه جاره:

الجار: اهدا^(٨).. اهدا..

أي بمعنى تفضل بالدخول. سلّم "الدرهمي" على جاره وحكى له حكايته، فابتسم الجار وطأطأ رأسه، مما جعل "الدرهمي" يجزم بأن هنالك حكاية وراء ابتسامة جاره:

الجار: عليك الحذر ثم الحذر.. إنها ليست إنسيّة.. أجدادنا أخبرونا عنها.. ووالدك أيضاً يعرفها وقد رآها عدة مرات.. ولا أحد يعرف من تكون؟؟ كما أنها لا تظهر في المزرعة إلا لسبب.. أو أنها تريد أن تخبرك بشيء.. تعامل معها بحذر يا جاري العزيز.. ازداد "الدرهمي" رعباً بعد لقاء جاره وما حدثه عن المرأة الجنية، فخرج من بيت مزرعة جاره وهو يتلفت يميناً ويساراً خائفاً ومهرولاً نحو منزله، حتى وصل به

(٨) هي الرد على كلمة هود ومعناها تفضل بالدخول

الرعب إلى قرار اتخذه بعدم الذهاب إلى المزرعة حتى يجد حلاً لما يحدث فيها من أمور غريبة. تفاقت على "الدرهمي" الأمراض النفسية والقلق والوساوس التي جلبها له ظهور تلك المرأة، إذ إنه كان يسمع ضحكاتها ترج في جنبات منزله وحتى عطرها لا يفارق أنفه، وأغرب ما في ذلك أنه تعب من كثرة محاولاته في إخبار زوجته بما يعج به صدره غير أن مانعاً يمنعه من الكلام معها في هذا الموضوع. بقي "الدرهمي" على هذا الحال عدة أيام، ولما ساءت حالته جلبت له زوجته الأطباء والمداوين الشعبيين من كل مكان، فلم يكتشف أحد السر ولا حتى أسباب مرضه. وفي ليلة من الليالي زارته امرأة المزرعة في المنزل ودخلت غرفته فاستيقظ "الدرهمي" وهو يتصبب عرقاً من شدة الخوف وكاد أن يغمى عليه وهو يتحدث بصعوبة:

"الدرهمي": كيف دخلت؟ أين زوجتي؟؟ أين أبنائي؟؟ ما الذي تريدينه مني؟

ابتسمت المرأة مرة أخرى، وقالت وهي تحرك يدها

التي تحمل "داس"^(٩)، وهو أداة حادة تستخدم لقطع الأشجار:

المرأة: أنا الجنية أم داس.. أما سمعتَ عني من قبل ؟ ؟ "الدرهمي": نعم.. سمعتُ
عنك الكثير.. لكن أرجوك لا تؤذيني ولا تؤذي عائلتي.. خذي ما تريدين من
البيت أو من المزرعة "حلال عليج" ولكن لا تؤذيني.. تحولت ابتسامة المرأة إلى
ضحكات قوية هذه المرة،

وقالت له:

المرأة: ما أريده ليس له ثمن.. أنا أحبك.. أعشقتك.. وما سبب حضوري إلى
المزرعة إلا لأراك وأراقبك من بعيد.. فأنت رجل وسيم.. طيب الخلق تحب الجد
والاجتهاد.. لديك الصبر والحنكة.. لديك الحب والوئام والرجولة.. وسأعطيك كل
ما تريد وتتمنى.. سأساعدك في مزرعتك.. سأشتري لك مزارع كثيرة.. سوف
أجعلك غنياً.. وسأجعل نخيلك من أفضل نخيل المنطقة.. وسيذيع اسمك في كل
بقاع الدنيا.. فأنا أيها "الدرهمي".. أريدك أنت.. أريدك لي وحدي.. تزوجني

فأنا أحبك كثيراً.. كما أنني أريدك أن تطلق زوجتك.. وتترك معها أولادك لتكون لي أنا وحدي.. أنا وأنت سنعيش حياة جميلة مستقرة بعيداً عن الضوضاء.. وسأكون لك الزوجة المطيعة وأكون لك كل ما تريد.. "الدرهمي": لكني أحب زوجتي وأبنائي.. ولا أرغب بالزواج.. لا أريد سوى زوجتي.. سامحيني لا أستطيع أن ألبى لك رغبتك..

أغضب رد "الدرهمي" الجنيّة أم داس، فهددته بكلمات قليلة وهي في قمة الغضب: المرأة: إن لم تتزوجني.. سألحق الضرر بك وبزوجتك وبأولادك، صرخ "الدرهمي" بوجهها. "الدرهمي": لن أتزوجكِ.. افعلي ما تفعلين.. سمعت زوجة "الدرهمي" صراخه قادماً من الغرفة، ودخلت إليها مسرعة لتسأل عن حال زوجها الذي كان يرتجف ويتصبب عرقاً من شدة الفزع، فقامت زوجته بتغطيته وجلبت له الماء حتى هدأ روعه بعدما تلفت يميناً ويساراً ولم ير الجنية التي غادرت المكان فور دخول زوجته:

الزوجة: ماذا حدث؟ لماذا كنت تصرخ وتتحدث بصوت عالٍ.. مع مَنْ كنت تتحدث؟؟ كتم "الدرهمي" غضبه وخوفه وحزنه ولم يتمكن من كشف سرّه لزوجته، السرّ الذي جعل مرضه يزداد ويتفاقم وتسوء حالته يوماً بعد يوم. وظل على هذه الحال قرابة سبعة أيام رغم متابعة زوجته لحاله التي بقيت تعالجه بالأدوية الشعبية "المر" (١٠) والخليل (١١). إلخ" من الطب الشعبي المتداول في تلك الفترة. سمع جاره الطبيب بمرض "الدرهمي" فبادر بزيارته على الفور كونه يعرف ما ألمّ به وأن علاجه ليس عند الأطباء، فتحدث مع زوجة "الدرهمي" وطلب منها أن تحضر له "المطوّع" وهو إمام المسجد، من أجل أن يقرأ على رأسه بعض الآيات القرآنية لتحسينه وتحسين المنزل من الجنية "أم داس".

استجاب "المطوّع" على الفور لطلب الزوجة، وحضر مخففاً من هلع "الدرهمي" وقرأ عليه بعض الآيات من القرآن الكريم، وسقاه بماء بعد أن قرأ عليه ونفخ

(١٠) نبات المرّ

(١١) نبات الحلتيت

فيه حتى هداً "الدرهمي" وبدأ يقصُّ حكايته مع الجنية على "المطوع":
"المطوع": لا تخف.. وتحصَّن بآيات الله.. وسأذهب معك إلى المزرعة.. هناك
سوف أرقبك وأرقي المكان وستختفي الجنية بإذن الله..
وبالفعل، ذهب "المطوع" إلى المزرعة وقرأ ما تيسر من القرآن الكريم، وتحسنت
بعدها حالة "الدرهمي" وعاد لممارسة حياته الطبيعية في المنزل والمزرعة.
شهور مضت والأمور تسير على ما يرام، حتى تفاجأ "الدرهمي" بسقوط زوجته
أثناء عملها في المطبخ مغشياً عليها، فما كان من "الدرهمي" إلا أن يرسل في
طلب "المطوع" والأطباء الشعبيين، لكنهم جميعاً فشلوا في علاج زوجته، ونصحه
جاره بأن يذهب إلى
كبير "المطاوعة" في وادي "دلم"^(١٢) وهو من سيجد دواء لعله زوجته بإذن الله.

أعدَّ "الدرهمي" عدته للسفر إلى الوادي، ومضى قاطعاً الجبال والصحاري والوديان
حتى وصل إلى

(١٢) اسم وادي في دبا

وادي "دلم" وسأل عن ذلك "المطوع" الذي أخبره جاره عنه، فأخبره أهل المكان أنه يعيش في أطراف الوادي لوحده في منزل يسمى بالحامية أو "العشة" تم بناؤه من حجارة وسقفه من نباتات العسبق المجفف وتحيط به الجبال من كل جانب.

وصل "الدرهمي" منزل المطوع وما إن طرق الباب حتى استقبله "المطوع" ورحب به، وسمع منه حكايته والأذى الذي لحقه ولحق زوجته وأولاده من الجنية: المطوع: لا تقلق.. أعرف الكيفية التي أواجه بها "أم داس".. ولكنك قد تصاب بالتعب في إحضار الأدوية لأنها شحيحة.. وربما لم تتمكن من إحضارها "الدرهمي": سأفعل المستحيل من أجل إنقاذ زوجتي وأولادي

المطوع: إذن.. عليك الذهاب على الفور إلى جزيرة الواق واق لإحضار أوراق السدر المجففة.. ثم بعدها تنطلق نحو جزيرة الفيارين^(١٣) التي تشتهر بطيور البحر وأعشاشها الكثيرة وتحمل من تلك الأعشاش

ثلاث بيضات من بيوض "فرخ العشر"^(١٤)، وهي تدلّ على طائر بحري باللهجة المحلية.

"الدرهمي": سأفعل..

المطوع: بعدها تجلب ماء بحر من "هرموز"^(١٥)، وحين تعود إلى المنزل تمزج هذه الأشياء كلها ثم اسقي من خليطها زوجتك وأولادك وستعود إليها عافيتها بإذن الله.

تجهز "الدرهمي" لرحلة البحث عن الدواء الشافي من أذى الجنية، ورغم أنه يعاني من رهاب البحر ولم يعتد ركوب القوارب البحرية إلا أنه أصرّ على أن يضع حداً للجنية وما أحدثته من ضرر فيه وفي عائلته، فاستأجر "الدرهمي" قارباً شراعياً وجلس قرب الصيادين والبحارة يستقي منهم معلومات عن البحر، وطريقة الاستدلال على تلك الجزر، بعدها حمل أمتعته بما فيها من ماء وطعام وانطلق بقاربه يصارع أمواج البحر من أجل الدواء.

بعد ساعات من الإبحار، وجد "الدرهمي" نفسه تائهاً

(١٤) اسم محلي لطائر بحري

(١٥) مضيق هرمز

في عرض البحر، لا يعرف أين يذهب يميناً أم شمالاً، رغم أن البحارة أرشدوه بأن لا يميل إلى أي جهة بل يواصل طريقه بخط مستقيم، غير أن الريح جعلت القارب يغير مساره.

حل الظلام في السماء، وقرر "الدرهمي" رفع مجداف القارب، والمضي قدماً حيث تأخذه الريح، فهبت رياح قوية وهطلت الأمطار بغزارة حتى ملأت القارب بالماء، استجمع "الدرهمي" شجاعته ولم يستسلم للأخطار التي حاصرتة من كل جانب، فاستخدم وعاء موجوداً في عدة القارب وأخذ بإفراغ الماء من القارب لساعتين من الزمن حتى تمكن منه الإرهاق فغفى، وحين استيقظ في الصباح وجد قاربه وقد جرفته مياه الأمطار على حافة شاطئ جزيرة مليئة "بالسنانير"^(١٦) التي

استقبلته بالمواء الحاد، وبدت له أنها تتضور جوعاً وأنه لو رسى بقاربه على هذه الجزيرة فستلتهمه تلك القطط المتوحشة، فاختر الإبحار بعيداً. واصل "الدرهمي" إبحاره نحو جزيرة الواق واق،

والتي عثر عليها بمعونة أحد الصيادين الذي التقاه صدفة بقاربه في عرض البحر، حيث أرشده الصياد إلى الدرب الذي عليه أن يسلكه للوصول إلى جزيرة الواق واق، فما كان من "الدرهمي" إلا أن يوجه قاربه حيث أشار عليه الصياد، ويصل الجزيرة التي بدت محاطة بالجبال من كل جانب، لا يسكنها بشر ولا يوجد أي مظهر من مظاهر الحياة عليها.

رسا "الدرهمي" بقاربه وانطلق على الفور في البحث عن شجرة السدر، التي لم يبذل جهداً في العثور عليها كون الجزيرة مليئة بهذه الأشجار، توجه "الدرهمي" مباشرة نحو الشجرة وبدأ بقطف الأوراق، ومن شدة فرحه بأنه حقق مراده من الجزيرة التي أرشده إليها "المطوع"، لم ينتبه لوجود "طوي"^(١٧) أي بئر ماء عميقة ومظلمة وجافة، كانت قرب الشجرة فسقط فيها، حيث أصابه سقوطه برضوض في الجسد، وبخيبة أمل كبيرة، الأمر الذي جعله يندب حظه السيئ. اجتهد "الدرهمي" وحاول مراراً وتكراراً تسلق البئر

لكن دون جدوى، فاستسلم للصراخ وانتابه اليأس من كونه وصل إلى الجزيرة غير أنه لم يحصل إلا على سقوط في بئر قد يؤدي بحياته بسبب الجوع والعطش، وسيحرمه من الحصول على علاج لزوجته وأولاده.

في اليوم التالي استفاق "الدرهمي" على حجرات صغيرة انهالت عليه من الأعلى وهو نائم في البئر: "الدرهمي": من هناك؟؟ لماذا ترموني بالحجارة؟؟ أجيبوني؟؟ أنا عالق هنا.. أحتاج إلى من يخرجني.. أحتاج إلى طعام وشراب قاطع نداءه صوت صدر من أحد الأشخاص من الأعلى:

الرجل: هل أنت من الجنّ أم من الإنس؟؟

"الدرهمي": أنا من الإنس.. سقطتُ هنا عن طريق الخطأ.. أرجوك ساعدني..

في البداية لم يصدق الرجل الواقف في الأعلى ما حكاه "الدرهمي"، لكنه شعر في نبرة صوت "الدرهمي" الصدق، فما كان منه إلا أن يرخي له الحبل ويخرجه من البئر.

شكر "الدرهمي" الرجل على حسن صنيعه معه، وتبين للدرهمي بعد أن تبادل أطراف الحديث مع الرجل، أنه مسافر رسا بقاربه على الجزيرة من أجل الحصول على الماء، وحين وجد البئر رمى أحجاراً من أعلى ليتأكد من وجود الماء فيها، أُرعبه صوت "الدرهمي" القادم من عمق البئر في البداية، حتى اطمأن للصوت وأخرجه.

غادر "الدرهمي" مبحراً بقاربه جزيرة القطط (الواق واق)، بعد أن دلّه المسافر على الطريق الذي يجب أن يسلكه للوصول إلى جزيرة "الفيارين" ومن بعدها العبور إلى بحر "هرموز" الذي لا يبعد كثيراً عن جزيرة "الفيارين" تلك، وبعد مرور ساعات على الرحلة، وصل "الدرهمي" إلى جزيرة "الفيارين" التي تتميز عن جزيرة الواق واق بشكلها وضخامة جبالها وامتلائها بطيور البحر والفئران.

رسا "الدرهمي" بقاربه وتوجه مباشرة نحو أحد الجبال لتسلقه بحثاً عن عش طائر "فرخ العشر" حتى عثر على العش وفرح لوجود عدد من بيوض الطائر

فيه، حمل ثلاث بيضات وعاد من فوره لتستقبله مفاجأة أخرى، إذ نسي "الدرهمي" ربط القارب أو على الأقل رفعه إلى اليابسة، مما جعل القارب يبتعد عن الجزيرة إلى مكان مجهول بعيداً عن نظر "الدرهمي"، ولحسن حظه أنه لم يترك أوراق شجر السدر في القارب، وإلا لاضطر إلى العودة إلى جزيرة الواق واق مرة أخرى. خيبة الأمل عادت من جديد إلى قلب "الدرهمي"، الذي ما كان منه إلا أن يستلقي قرب البحر لأيام دون أن يعثر على حل ينقذه من البقاء على هذه الجزيرة ويعيده إلى قريته، وفي آخر أيامه على هذه الجزيرة لمح سفينة عملاقة ترسو قرب الجزيرة، ورأى "الدرهمي" قارباً صغيراً ركب عليه عدد من الرجال وأبحر بهم نحو اليابسة، رجالاً أشكالهم غريبة نوعاً ما، يغنون بأصوات عالية ويحدثون ضوضاء وصخب في المكان، فانطلق "الدرهمي" إليهم مسرعاً طالباً العون، وما إن رآه يقترب منهم حتى ألقوا القبض عليه وقيدوه وبادروه باللقاء الأسئلة:

أحد البحارة: ما الذي تفعله فوق جزيرتنا؟؟

أحد البحارة: يبدو أنك لا تعرفنا.. نحن "حرامية"^(١٨)

البحار.

ضحك "الدرهمي" ساخراً من حظه العاثر، الذي خلصه من أهوال البحر، وأنقذه من البئر العميقة ومن الموت جوعاً وعطشاً على جزيرة "الفيارين" لتكون نهايته على أيدي قراصنة البحر، حيث إنه سمعهم وهم يتهامون فيما بينهم بأنهم سيقدمون على قتله ورميه لأسماك البحر، على الرغم من أنه شرح لهم ما حدث له، وعن رحلته الطويلة من أجل جلب الدواء لزوجته، غير أنهم لم يصدقوه وما كان منهم إلا أن ينتظروا قرار قبطان السفينة في أمره. جلس "الدرهمي" لساعات في السجن قبل أن يحضر القبطان، الذي أجهد بالبكاء فور رؤيته "للدرهمي" والقضبان على يديه وقدميه، وعلى الفور أمر قبطان السفينة البحارة بفك أغلاله وأمر "للدرهمي" بالرعاية والعناية والكثير من الطعام والشراب، مما

جعل "الدرهمي" يستغرب من تصرف قبطان السفينة معه، ولماذا يعامله معاملة جيدة وحسنة وهو لا يعرفه. انقشعت الغيمة التي علت أفكار "الدرهمي" بعد أن أكل وشرب وارتاح من عناء السجن، حينما أخبره القبطان بأنه يحتفظ للدرهمي بالمعروف الذي أسداه إليه، حينما ساعده ووقف إلى جانبه لما مرّ قبل سنوات عديدة قرب مزرعة "الدرهمي" وكان جائعاً ومشرداً فقدم له "الدرهمي" الطعام والشراب وملاً له سلالاً من الفاكهة حملها القبطان معه حين عاد إلى قريته، بل وطلب "الدرهمي" منه أن يجلس في المزرعة ويعمل معه فيها، وها هو اليوم يردّ الجميل إلى "الدرهمي" ويأمر له بقارب أبحر فيه "الدرهمي" نحو بحر هرموز.

تعجب "الدرهمي" من حال الدنيا التي لا تستقر على حال، حامداً ربه على النعم التي هو فيها، حتى وصل إلى بحر "هرموز" حيث غرف من مائه وانطلق مسرعاً نحو قريته بعد غيابه الطويل عنها، حتى ظن أهل القرية بأنه غرق في البحر لتأخر عودته، وحينما رأوه

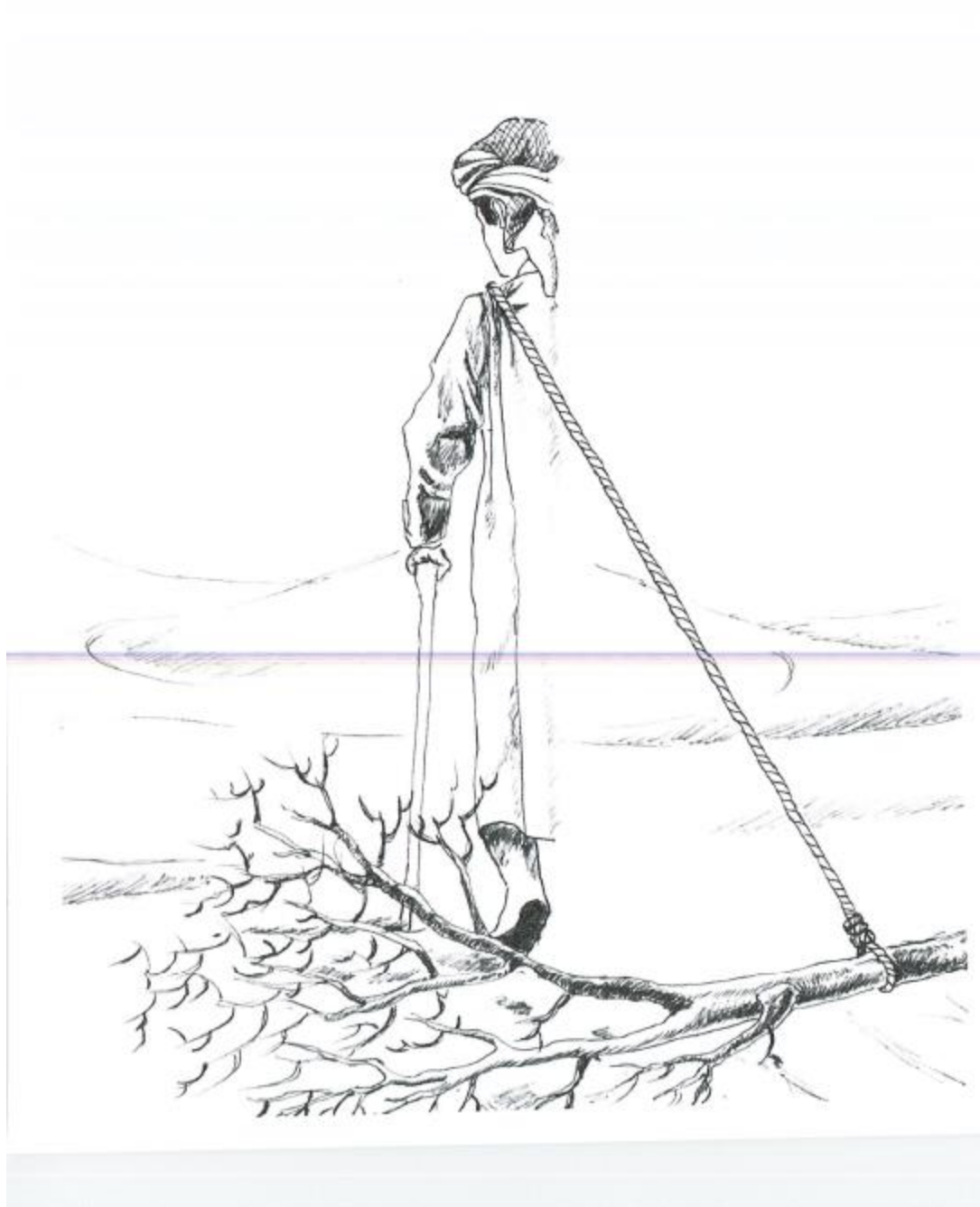
نادى منادي القرية فرحاً معلناً بمقدم "الدرهمي" من تلك الرحلة المضنية.

عادت الريح القوية إلى الهبوب مرةً أخرى، وحاولت منع "الدرهمي" من الوصول إلى منزله، وصوت "أم داس" عالياً يرن في أذنيه:

الجنّة: لقد تغلب عليّ.. لقد تغلب عليّ.. دبرت له المكائد والحيل والمحن لكنه تغلب عليها وتغلب عليّ.. لن أياس.. وسأمنعك من إعطاء الدواء لزوجتك.. غير أن إصرار "الدرهمي" وقراءته للقرآن الكريم وتحصين روحه به، وكذلك بحبه لزوجته وأولاده تغلب على الريح القوية ووصل إلى منزله، وأرسل أحد أبنائه لاستدعاء "المطوع" الذي قام بخلط ورق السدر وبيض الطيور وماء البحر، ووضع الخليط في إناء وسقاه لزوجته "الدرهمي" التي سرعان ما استجابت للعلاج وتغوّقت على مرضها، كما أعطى "المطوع" خليط الإناء لأولاد "الدرهمي" فشربوا منه جميعاً ليختفي السحر الملعون الذي صنّعه أم داس وعاش "الدرهمي" وعائلته في سعادة غامرة وأصبحت حكاية "أم داس" من الماضي حين اختفت من القرية إلى الأبد.

وخلصت الخروفة

شطر شطير



شطر شطير

يحكى أنه كانت هنالك امرأة تدعى "يمنية"^(١) أو جميمة، تعيش في إحدى القرى مع زوجها بسعادة وهناء، غير أن سعادتها لم تكتمل كونها لم تتمكن بعد سنوات طويلة من زواجها من الإنجاب، حتى أنها ذهبت لأفضل الأطباء والمعالجين بالطب الشعبي وكذلك "المطاوعة"^(٢)، ووصلت إلى بلاد السند والهند، وزنجبار أفضل المدن في علاج هذه العلة في ذلك الوقت ولكن ذهبت جميع محاولات المرأة أدراج الرياح. سليمان "العقيم"^(٣)، زوج "يمنية" طيب القلب وكريم الخلق يحب امرأته ويقدر ظروفها في عدم قدرتها على الإنجاب، كما أنه مقتنع بما قسم له وراضٍ بما أنعم الله عليه، ولم يفكر بالزواج بامرأة أخرى رغبةً في الحصول على الأولاد رغم أنه رجل مقتدر مادياً، معارضاً إصرار ورغبة أقاربه وأصدقائه

(١) اسم محلي للإناث

(٢) شيخ الدين وأئمة المساجد

(٣) العقيم

في تزويجه بثنائية، ومقاوماً نظرة أهل القرية إليه بعيون تلمزه في كل حديث ولقاء كونه بلا ولد، غير أن ثقة سليمان بالله لا حدود لها، وهو على يقين من أن المولى عز وجل سيعوضه يوماً ما خيراً على صبره ومراعاته لزوجته.

وذات يوم، وصلت القرية امرأة عجوز تدعى "المطوعة"^(٤) عوشة أم الخير" وقد عُرف عن هذه المرأة العلم والرصانة والخلق الكريم، وقد ذاع صيتها في جميع القرى والمدن المجاورة، فهي حافظة لكتاب الله، وتجيد القراءة والكتابة، وتعالج النساء بالطب الشعبي، وخصوصاً اللواتي يعانين من تأخر حملهنّ، كما أنها اشتهرت بعلاج السحر والمسّ، أي تلبس الجن أو الشيطان في أجساد البشر، كما أن "عوشة أم الخير" تقوم بعمل جلسات زار من أجل استحضار الجن، وتلبية طلباتهم من أجل شفاء الشخص المريض بالتلبس، وذلك عبر قرع الطبول والدفوف في مناطق معينة تكون على الأغلب في أطراف القرية في أمكنة

(٤) المعالجة بالطب الشعبي والرقية

غير مأهولة بالسكان.

وصلت أخبار "عوشة أم الخير" إلى مسامع "يميعة"، فما كان منها إلا أن تتوجه مباشرة لجارتها تسأل عن مكان إقامة "عوشة أم الخير" لعلها تجلب لها الخير الذي انتظرتة سنوات طويلة.

ذهبت "يميعة" قدماً على وصف جارتها للبيت الذي حلّت عليه "أم الخير" ضيفةً، وهو منزل "حمود همباه"، وما إن اقتربت من باب الدار حتى أدهشها الكمّ الغفير من الحشود المتجمعة أمام منزل "حمود همباه"، وحين دخلت البيت وجدت أناساً أكثر، نساءً ورجالاً وأطفالاً وكباراً في السن وفدوا من قربتها ومن القرى المجاورة وتجمعوا في انتظار مقابلة "عوشة أم الخير" لتداوي عللهم وتطرد الشياطين من أجسادهم.

جلست "يميعة" تنتظر في الداخل، حل المساء ولم يأتِ دورها في مقابلة "أم الخير"، وحين سألت من حولها:

"يميعة": منذ متى وأنتم تنتظرون هنا؟؟ قالت أحدهن: منذ يومين وأنا أجلس منتظرة هنا

وردت أخرى: أنا هنا منذ ثلاثة أيام

ثم قالت فتاة: لقد سمعتُ بأن "المطوعة" قد تغادر القرية قريباً

أصابتها -"يمية"- ردود المنتظرين بخيبة أمل، وتمنّت لو أنها لم تسأل أحداً بالمرّة، فما كان منها إلا أن تقفل راجعةً إلى بيتها عائدةً تحمل الكثير من القلق بشأن مغادرة "عوشة أم الخير" دون أن تحظى ب لقاءها، غير أن "يمية" تمسّكت بما تبقى لديها من أمل، وقررت أن تذهب مرّةً أخرى في الغد ومنذ الصباح الباكر إلى بيت "حمود همباه" لعلها تنال مبتغاها وقبل وصول

الجموع والحشود إلى المنزل.

مع فجر اليوم التالي، شحذت "يمية" همتها وتوجهت مسرعة نحو منزل "همباه" سعياً منها في الوصول قبل الجميع للقاء "عوشة أم الخير" لكن خيبة أملها تكرّرت مرّةً أخرى حينما رأت المكان مكتظاً بالناس وكأنهم لم يغادروا، بل قضوا ليلتهم في منزل "همباه"، فما كان من "يمية" إلا أن تجلس وتنتظر دورها، وبينما هي في حالة الترقب والانتظار، فُتح باب

"المطوعة" وخرجت امرأة من الباب هي ذات المرأة التي شاهدتها في الأمس وسألتها، فنهضت "يمية" من مكانها وتوجّهت صوب المرأة:

"يمية": كنتِ معي في الأمس تنتظرين لقاء "المطوعة".. كيف تمكنتِ من الدخول إليها بهذه

السرعة؟

المرأة: حمود همباه..

"يمية": لم أفهم.. وضّحي أرجوكِ

المرأة: أعطيت حمود قليلاً من الدراهم أو ليرة وسيقدمك على الجميع

تركت "يمية" المرأة وراحت تبحث عن "همباه" حتى عثرت عليه فبادرته بما يجول في فكرها على الفور:

"يمية": سأعطيك ليرة ذهبية..

حمود: انظري حولك.. الجميع هنا مستعد للدفع كي يدخل عند "المطوعة"

"يمية": سأعطيك عشر ليرات ذهبية.. ها.. ما

رأيتك؟؟

حمود: حسناً.. اذهبي الآن وعودي إليّ بعد صلاة

العشاء وسأدخلك على الفور عند "المطوعة". أدخل "حمود" بكلماته تلك السعادة في قلب "يمية" الأمر الذي جعلها تمنحه أكثر من عشر ليرات ذهبية، ثم عادت إلى منزلها وأعدت لزوجها الغداء، حكّت له ما حصل معها في بيت "المطوعة" مع "حمود همباه" وسط ضحكات زوجها من جرأتها في الحديث مع "همباه"، لكنها أخفت عنه السبب الحقيقي من ذهابها إلى "المطوعة".

لم تعرف "يمية" الراحة، بل ظلّت تترقّب مغيب الشمس لتمضي نحو غايتها، ومع رفع أذان العشاء، انطلقت "يمية" مسرعةً نحو بيت "حمود همباه" الذي كان في انتظارها، وبعد أن اطمأن إلى دخول الليرات الذهبية في جيبه، أدخلها على الفور إلى غرفة "المطوعة عوشة أم الخير" التي احتفت بيمية ورحّبت بها وكأنها تعرفها منذ زمن، وحينما بدأت "يمية" بالحديث عن علتها، بشرّتها "المطوعة" بالأخبار السعيدة وقبل أن تتم "يمية" جملتها الأولى. "المطوعة": لا عليك يا "يمية" لن يحول

عليك الحول إلا وأنتِ حامل. اذهبي وبشري زوجك سليمان بأول مولود لكما.

اندهشت "يمية" بما سمعته من "المطوعة" إذ كشفت "المطوعة" بكلمات كل ما كان يجول في صدر "يمية" من أفكار، وكذلك عرفت أسباب زيارتها. وبعد أن استوعبت "يمية" الصدمة، بدأت بالقيام بالخطوات التي أرشدتها إليها "المطوعة" والتي يجب على "يمية" الالتزام بها، وألا تغفل عن أي خطوة من الخطوات التي دلتها عليها "المطوعة"، لا تقدم خطوة على خطوة، ولا تؤخر إحداها على الأخرى. الخطوات التي أمرتها "المطوعة" أن تقوم بها أولها:

عمل خبز مكسف أو مجسف^(٥)، معجون بماء سبع "طويان"^(٦)، وكذلك الدقيق من حبوب البر الجبلي

المروي بماء المطر، مطحوناً من قبل امرأة حامل في شهرها السابع، ثم يعجن قبل أذان الفجر، ويخبز بعد شروق الشمس، ومن ثم يُترك الخبز حتى يجف، ثم تضع قطعة الخبز في "المنز"^(٧)، ثم تهز "المنز" عشر

(٥) مأكولات شعبية

(٦) مفردتها طوي أي بئر

(٧) مهد الطفل

مرات، وتمارس حياتها الزوجية مع زوجها بصورة طبيعية لكي يحدث الحمل، شرط أن تحتفظ بكل ذلك في صدرها ولا تخبر أحداً عن طريقة العلاج ويبقى الأمر سراً بينها وبين نفسها.

ارتسمت على وجه "يمية" تباشير الفرح، وأعطت "المطوعة" صرة من الليرات الذهبية، وخلعت "شغابها"^(٨) الذهبية، وقدمتها لها هدية ووعدتها بمثلها وأكثر إن حصل الحمل. غادرت "يمية" منزل "همباه" والأمل يكبر في روحها بأن تضع قريباً مولودها الأول وتسعد قلبها وقلب زوجها.

لم تنتظر "يمية" الكثير من الوقت، بل باشرت من اليوم التالي في البحث عما طلبته منها "المطوعة" عوشة أم الخير" وقامت بعمل جميع ما طلبته، فالأشياء المطلوبة متوفرة في أسواق القرية، ولا تحتاج إلا من يجلبها، حتى المرأة الحامل في شهرها السابع لم تواجه "يمية" صعوبات في العثور عليها فجارتها تنطبق عليها جميع الموصفات الخاصة بالمرأة الحامل

(٨) القرط أو الحلق

وكما طالبت "المطوعة".

في الفجر، عجنت "يمية" العجين وصنعت خبز المكسف، وما إن أشرقت الشمس صنعت "يمية" خبزاً شهياً لذيذاً لم تخبز مثله في حياتها، وبعد انتهائها من عمل الخبز، تركت قطعة الخبز لتجف، ثم لفتها ووضعتها في مهد الطفل الذي جلبه زوجها لها منذ زمن بعيد تفاؤلاً منه بقدوم الأفراح والسعادة إلى بيتهم يوماً ما، والذي قد يكون أوانه قد آن وهو لا يدري.

وضعت "يمية" قطعة خبز المكسف في "منز" الطفل وأخذت تتعامل مع قطعة الخبز وكأنها طفل، حيث

بدأت بهز وتحريك "المنز" وهي تنشد "المهاواه"^(٩):

"هو يا وليدي هويا يا وليدي

الله لا إله إلا الله الله لا إله إلا الله

حفظك الله يا وليدي حفظك يا نظر عيني

هو هو هو يا وليدي هو يا وليدي"

أبدى زوج "يمية" استغرابه مما تقوم به زوجته في المنزل، من عمل الخبز ووضعه في المهد وهز المهد

(٩) هدهدة الطفل

وكذلك المهاواه التي كانت تنشدها وهي تجلس قبالة وتهزه، غير أن "يمية" تمكنت من إقناعه بكل ما تفعل:

"يمية": أنا أتأهب لاستقبال طفلنا الجديد.. أما ما يخص "المنز" فأنا أرتبه وأنظفه لاستقبال طفلنا..

انصرف زوجها نحو عمله بعد اقتناعه بتبريرات زوجته، ومَرَّت الأيام والأسابيع والشهور، وبدأت بطن "يمية" بالارتفاع، إذ حملت "يمية" أخيراً، وكاد زوجها يطير من شدة الفرح الذي أدخله هذا الخبر إلى قلبه. أما "يمية" فواظبت على خطوات

"المطوعة" واعتنت بنفسها كثيراً، كي يولد الطفل سليماً معافى، وفي ذات الوقت كانت "يمية" تعتني بقطعة الخبز التي صنعتها ووضعتها في "المنز" كما أوصتها "المطوعة" حتى وصلت "يمية" أشهرها الأخيرة من الحمل، وقبل أن تلد بأيام صُِعِقَتْ حينما ذهبت للاطمئنان على قطعة خبزها الملفوفة بقطعة قماش وموضوعة في "المنز" ورأتها ناقصة وكأن شخصاً ما قد التهم نصفها.

وصلت أصوات بكاء ونواح "يمية" إلى مسامع زوجها سليمان، الذي هرع نحوها لتبادره بالسؤال. "يمية": من الذي أكل خبزتي؟؟ سليمان: أنا.. أنا الفاعل.. عدت بالأمس جائعاً ولم أجد شيئاً آكله في المطبخ.. فعثرت على هذه الخبزة الشهية الملفوفة بالقماش.. وتوقعت أنكِ خبزتها لي فأكلت نصفها وتركت النصف الآخر لكِ.

فعلاً.. كانت الخبزة التي خبزتها "يمية" لذيذة جداً تحرك الرغبة في التهامها. انهارت "يمية" على الأرض وهي تنتظر بغضب نحو زوجها، وتكتم سرّها الذي احتفظت به لأشهر طويلة كما أوصتها

"المطوعة"، فسألت زوجها وهي خائفة ومتريدة:

"يمية": كيف فعلت ذلك؟؟

سليمان: ألم تخبزيها لي؟؟

"يمية": أجل.. أجل.. لك.. ولكن..

سليمان: لكن ماذا؟؟

"يمية": لا شيء.. قطعة الخبز هذه كانت لأمي

ولكن لا عليك.. هنيئاً

تركها زوجها وغادر الغرفة، وجلست "يمية" تتدب حظها العاثر، وتسأل نفسها عن السبب الذي جعلها لم تفتح القماشة التي وضعت في داخلها قطعة الخبز صباح هذا اليوم لتطمئن على حالها، وظلت "يمية" على حالها يأكلها الندم وتتقافز في رأسها الأفكار، خاصةً أنها مجهدة ومتعبة بسبب الحمل، وإلا لتوجهت من فورها للسؤال عن "المطوعة عوشة أم الخير" في منزل "حمود همباه" كي تعرف منها عن حال حملها بعد أن التهم زوجها نصف قطعة الخبز. مضت الأيام، وحن موعد ولادة "يمية"، إذ تحضر زوجها لهذا اليوم بجلبه أفضل داية في القرية كي تولد زوجته بسهولة ويسر، ليحدث ما لم يكن بالحسبان، والذي فاق في وقعه على قلب "يمية" كل المفاجآت، إذ أنجبت نصف طفل قبل أن يغمى عليها من هول ما رأت.

طرح كل من حضر لحظة الولادة على نفسه أسئلة كثيرة، أسئلة لا إجابات لها دارت في رؤوس الجميع، وعلى رأسهم سليمان زوج "يمية" الذي ظل مشدوهاً

غير مستوعب لما رأى، وغير مصدق لخيبة أمله في ولد انتظره لسنوات وسنوات
وها هو يأتي منقوصاً نصفه. سليمان: يا ترى من هذا الطفل؟ ولماذا ولد هكذا؟
وكيف سيعيش؟ كيف سيأكل؟ كيف سيشرب؟ بدأت "يمية" بالبكاء والنواح مرةً
أخرى لحظة استفاقتها من إغماءتها ومشاهدتها لولدها النصف، غير أنها وبعد أن
تجرعت مرارة الصدمة وجهت اتهامها لزوجها سليمان بأنه سبب ما حدث لولدهما،
حين أكل نصف قطعة الخبز، فكانت النتيجة أن تنجب هي نصف طفل فقط.
شكر سليمان ربه على ما وهبه حتى ولو كان نصف طفل، أما "يمية" وبعد أن
استقرت حالتها وتعافت من أمراض الولادة، بادرت على الفور بالذهاب إلى منزل
"همباه" متسائلةً عن القرية التي تقطنها "المطوعة عوثة أم الخير"، غير أن إجابة
"همباه" جعلتها أكثر قلقاً وتوجساً حين أخبرها بأن "المطوعة" اختفت من القرية،
وأنه بحث عنها في قريتها وفي القرى المجاورة لقريتها والبعيدة أيضاً ولم يعثر
عليها وأن كلَّ من

قابلهم وسألهم كانت إجابتهم واحدة بأن "المطوعة" لم يعد لها وجود في أي مكان. عادت "يمية" إلى منزلها والحزن يغلف وجهها، فما كان منها إلا أن تسلم أمرها للمولى القدير عز وجل، ثم بدأت بقصّ حكايتها على زوجها منذ ذهابها إلى المطوعة وحتى عودتها قبل لحظات من منزل "همبا"، الأمر الذي جعل الغضب يتطاير من عيون زوجها، وانهال عليها بالتوبيخ والتأنيب كونها أخفت هذا الأمر عنه؛ لأنه لو علم بأمر قطعة الخبز الملفوفة لما اقترب منها.

مرت الأيام واتفق الزوجان على تربية طفلهما النصف، وأطلقا عليه اسم "شطر شطير" الذي أثار بمقدمه حفيظة أهل القرية، وجعلهم يخترعون القصص والحكايات الخيالية عن هذا المولود العجيب، بعضهم منحه صفة المسخ، والبعض الآخر وصفوه بأنه جني، ومنهم من أراد التخلص منه كونه فأل شؤم على القرية وأهلها، ولما كثرت الأقاويل حول "شطر شطير" قررت "يمية" وزوجها مغادرة القرية

والنجاة بطفلها من الأخطار التي تنتظره من أهل القرية الراضين لوجوده بينهم، إلا أن أهل سليمان وقفوا ضد هذا القرار، وطمانوا الزوجين بأنهم لن يسمحوا لأحد بالاعتداء عليهما أو على الطفل أو إخراجهم من القرية، فراجع سليمان و"يمية" عن قرار المغادرة وظلاً يربيان طفلها بصبر كبير ورعاية جمة محتسبين الأجر عند الله.

مرت الأعوام وكبر "شطر شطير"، وعلى الرغم من كونه ظل على حاله نصف رجل، إلا أنه كان قادراً على الحركة والمشي تعينه على ذلك عصاه، إلا أن أهل القرية لم يعينوه على مبتلاه، فلم يتقبلوا شكله الغريب بينهم، لكن خلقه الكريم وقلبه الطيب وبره بوالديه عوضوه عن أهل القرية والخروج من المنزل من أجل اللعب والتنزه، فانزوى في غرفته منطوياً على نفسه، بعد أن جرب أكثر من مرة الخروج والاندماج مع الأطفال إلا أن أهل القرية كانوا يسخرون من شكله، والأطفال يخشون الاختلاط به، بل ويطلقون عليه الألقاب والأسماء المضحكة التي تثير غضب كل

من يوصف بها:

شطر شطير

ساحب سمرة^(١٠)

شطر شطير

ساحب سمرة

والأمر الأعظم الذي زاد من ألم شطر شطير حزنه على والدته ووالده، اللذين بسببه انقطعا عن التواصل مع أهل القرية، واكتفيا بالجلوس معه في البيت واللعب معه أو الحديث إليه، مما جعل "شطر شطير" دائم الحزن في كل مرة ينظر إلى أبويه ويشاهد الحزن واضحاً في عيونهما، ويلاحظ حجم المشقة التي تكابدها والدته في البحث عن "المطوعة عوشة أم الخير" لتجد لها تفسيراً أو حلاً ينقذه وينقذ أبويه من الحال الذي هم فيه، حتى أنه كان يسمع نحيب والدته وهي تنئن وتبكي طوال الليل بسبب مرضه، فهي تحبه حباً جماً لم تحب مثله أم لولدها قبلها، ومع هذا كانت تجتهد في عدم إظهار حزنها لولدها

(١٠) شجرة السمر

خشية أن تخذش مشاعره.

طرح سليمان على زوجته فكرة تزويج "شطر شطير"، فهذا هو الحل الأنسب لإخراجه من العزلة التي هو فيها، غير أن "يمية" رفضت هذه الفكرة، فهي لا تتجراً بمفاتحة أي أحد من أهل القرية في هذا الموضوع، كون الرد سيكون بالرفض قطعاً. المآسي التي عصفت بالعائلة، والأحزان التي أقامت في منزل سليمان، جعلت من "شطر شطير" يقرر الرحيل من المنزل ومن القرية كلها وبدون أن يخبر أحداً، كي يخلص أبويه من الأحزان ويجعلهما يعيشان حياتهما الطبيعية كما كانت قبل مجيئه إلى الدنيا. وعند الفجر، وقبل أن يستيقظ والداه وأهل القرية، حزم "شطر شطير" أمتعته، وقبل مغادرته المنزل دخل إلى غرفة أمه وأبيه وهما نائمين، وقبّل جبينيهما والدموع تملأ وجهه، ثم غادر شاداً رحاله بعيداً عن القرية وأهلها.

مشى البعير الذي كان يحمل "شطر شطير" على ظهره مسافات طويلة، إذ إنه كان يهدف إلى الابتعاد

قدر المستطاع عن كل ما يقربه إلى قريته، أو يقربه إلى القرى المجاورة، فقد اختار أن يعيش وحيداً بعيداً عن الناس، حتى وجد ضالته حين استقرّ في واحة خضراء وسط الصحراء، بعيدة كل البعد عن مسير القوافل، حتى أنه لم يجد أثر أقدام أي مخلوق هناك، مما جعله يطمئن على ألا أحد يمكنه الوصول إليه وتعكير صفو حياته الجديدة.

استقر "شطر شطير" في الواحة، ثم بنى منزله الخاص به، وبدأ بحرث الأرض وزراعتها ليققات منها، لتمر السنين تلو السنين ويعيش "شطر شطير" وحيداً في واحته، لكنه في ذات الوقت بعيداً عن الأحزان التي ألمّت به وبوالديه وبقريته بسببه.

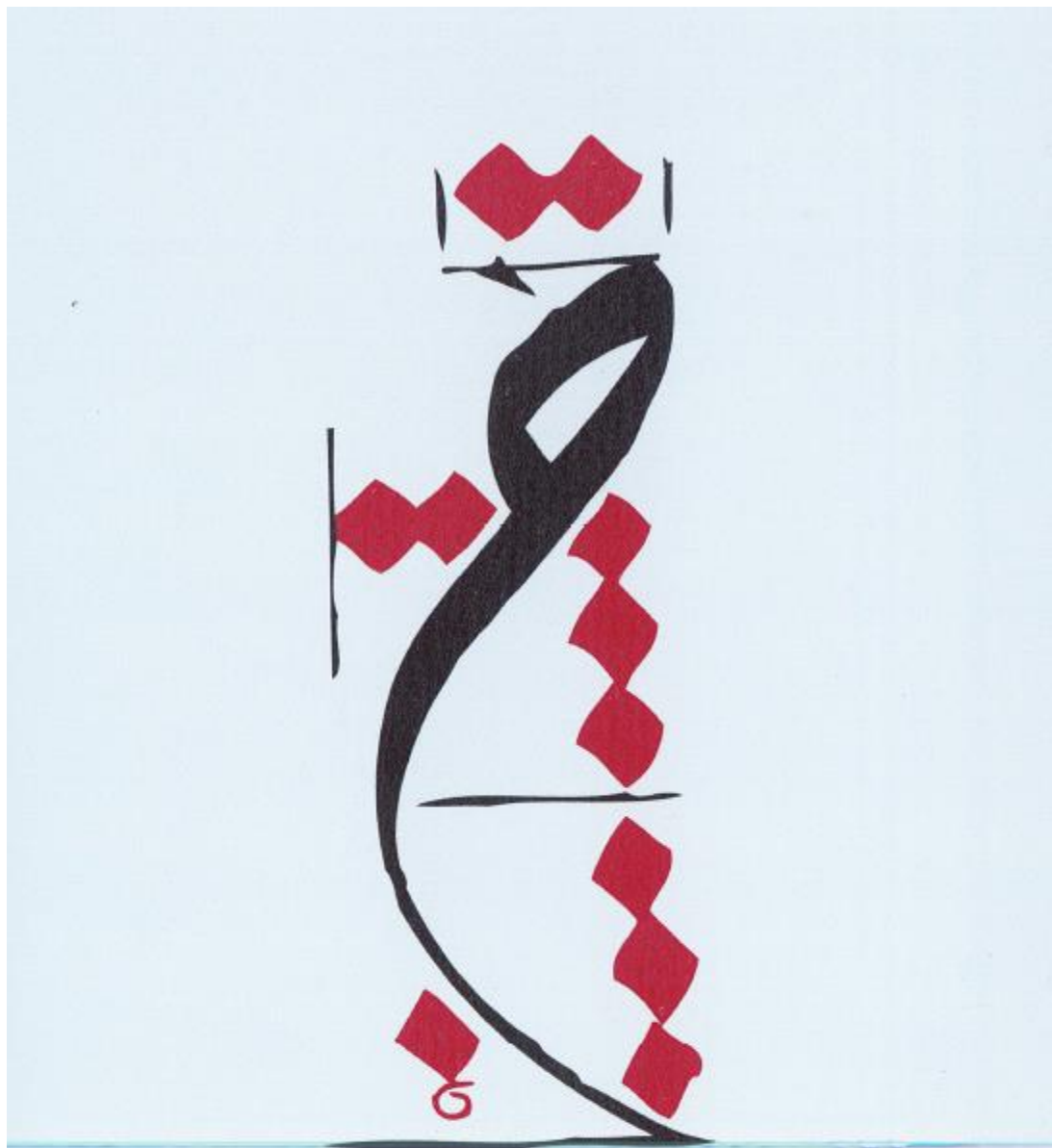
وخلصت الخروفة.

الفهرس

٥	 مقدمة المركز
٨	 المقدمة
١٧	 غريسة بنت الشّبيك
٣٧	 خرسان وورسان
٤٩	 بيض يحمل وبيض يعقر
٦٩	 أم داس
٩٣	 شطر شطير



تمت بحمدہ



ISBN: 978-9948-24-185-0